الجبَّة

دراسة في الأَرض والإِنسان

د. خضر عطية محجز

الجِبّة

دراسة في الأرض والإنسان

اسم الكتاب: الجِيَّة
المؤلف: خضر عطية محجز
النوع: دراسة في الأرض والإنسان
عدد الصفحات: 102
مقاس الورق: 25 × 17.5 سم
الطبعة الأولى: 2003
الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة
الناشر: عطية للنشر والتوزيع
مكان الإصدار: غزة
تاريخ الإصدار: 2014

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى أرواح الشهداء:

سبيتان عوض

حمدان عابد

إبراهيم حمدان

حيث تسقط كل الألقاب،

ولا يبقى ثمة إلا الشهادة

مقدمة

بالنسبة لرجل مثل "عطية خضر"، كانت الجية تعني الموت حباً. ولا جرم؛ فبلد الأحلام المستحيلة هذه، لم تتوقف عن مراودة المسكين عن روحه، طوال أكثر من عشرين عاماً، قضاها قلبه غاوياً مَغويَّاً حتى الدفقة الأخيرة من رحلة التيه والعذاب.

عند عطية خضر توقف التاريخ تماماً عند سنة الهجرة: صداقاته هي ذات الصداقات القديمة، عداواته هي نفس العداوات الماضية، أحاديثه هي الأحاديث السالفة كما هي... حتى أغانيه المحزونة، وألحانه ـ التي عرفها الجيايوة تنساب من شفتين كأنهما تداعبان شبّابة سحرية قادمة من عوالم المجهول ـ ظلت هي نفس الأغاني، بنفس الحزن، وبقوة اللوعة الماضية.

عند عطية خضر لم تمت المحبوبة أبداً، وظل ينبش ترابها بأظفاره كل مساء، ويعيد غسلها بدموعه، وينفث فيها من روحه، في دأب وصل حد الإدمان؛ حتى انتفضت قائمة مرة أخرى.. وقبل أن يعانقها، مات.. مات بعيداً غريباً مثل والده. وأورثني لوعة لا تنطفئ، وجذوة حب لا تخبو.

وبعد أوسلو ـ وآه مما بعد أوسلو هذا ـ جاءني صاحب شهادة وربطة عنق، ليقنعني بأنني لم اعد لاجئاً، على اعتبار أنني مواطن

أعيش في "فلسطين"!. ولم يعرف صاحب هذا الحذاء اللامع أن فلسطين عندي هي الجية، وأن الجية هي فلسطين، أو أكون قد خنت تراب أبي المظلوم ودموعه وضجعته الأخيرة.

ولم تجد أحزان "عطية" يومها إلا الورق. فكان أن أفرغت شيئاً منها في كتاب كامل، من كتب "اقتلوني ومالكاً" الثلاثة. ولكن هذه الأحزان لم تكن لترضي قوماً اعتقدوا أن على رواية إبداعية أن تتحدث عن أفراحهم، حتى لو كان الحديث بلسان عطية المحزون!. لكأن الضعف لعنة تلحق بصاحبها إلى القبر!.

لكن ما لنا ولهذه الأشياء الصغيرة!.. إنها مجرد تعلات. ولأعترف صراحة بأنني قد أحببت أن أكتب عن "الجية"، عربون حب ووفاء، لرجل لم يكن ينام قبل أن يرسم لي حدوداً وأسيجة وبيوتاً ورجالاً، ولم يكن يصحو حتى يحدثني عن موطن الروح وروح الوطن.

أعترف ـ وأنا بكامل قواي العقلية ـ بأن كتابتي هذه وصية لأبنائي، حملتها إليهم من جدهم "عطية خضر"؛ ويحملونها هم من بعدُ إلى أبنائهم، بأن لا يستبدلوا بالجية شيئاً.. حتى نعود.. ولتذهب كل الأوراق الموقعة إلى الجحيم.

الفصل الأول
الأرض

الجِبيَّة: الاسم والمعنى:

يلفظ اسم الجِيَّة بكسر الجيم وتشديد الياء المفتوحة، ثم تاء التأنيث المغلقة بمعجمتين، مثل تاء غزة التي تعتبر الجِيَّة قرية من قراها. واسم قرية الجِيَّة لا يلفظ إلا مسبوقاً بأل التعريف، حيث لم يُسمع أحد يقول: جِيَّة. وكأن أل التعريف هذه جزء لا يتجزأ من اسم القريـة، حتـى أن المرحـوم مصـطفى مـراد الـدباغ قـد اعتبـر أل التعريف هذه جزءاً من اسم العلم هذا، مشيراً إلى هذا الفهم بإثبات همزة القطع فوق الألف بهذا الشكل (ألجِيَّة)[1].

ولا شك أن لهذا الفهم، من المرحوم الدباغ، ما يبرره، خصوصاً عندما نلاحظ طريقة نطق الصليبيين لاسم القرية، عندما احتلوها وحرفوا اسمها، ثم لم يكن من ضمن هذا التحريف حذف اللام، التي كان من الأجدى أن تُحذف بحكم العادة، لو أنها لم تكن جزءاً من الاسم، فقالوا: (ألجي:Algie)[2].

---

[1]ـ مصطفى مراد الدباغ. بلادنا فلسطين. الجزء1. (1ـ ب). القسم2. ص252

[2]ـ نفس المصدر. نفس الصفحة.

وقد يكون اسم القرية هذا مشتقاً من الجواء وهو الوادي الواسع[1]. ويؤكد هذا المعنى انخفاض منسوب القرية بين القرى المحيطة بها واختراق الوادي لها، ويعزز هذا الاستنتاج ما ورد في المعاجم، من أن معنى لفظة الجِيَّة هو: مستنقع الماء[2]. ولا شك أن انخفاض مستوى القرية، وكونها مستنقعاً لمياه الشتاء سوف يجعلها مكاناً مبهجاً رائقاً لطيفاً يمتلئ بالأزهار البرية طوال شهور الربيع والصيف. وهو معنى آخر من معاني كلمة الجِيَّة، يورده الأستاذ الدباغ كذلك ضمن ما يورده من المعاني[3].

كما يمكن أن يكون اسم قرية الجِيَّة مستمداً من لفظة (الجوة) وهي القطعة من الأرض التي فيها غلظة[4]. وهذا المعنى كذلك يصدق على قرية الجِيَّة، التي تتميز بتربتها الطينية الحمراء الصلبة، التي تتشقق في فصل الصيف، لشدة غلظتها، كما يؤكد ذلك كبار السن من القرية[5].

وهناك رأي آخر، ينسبه الباحث عبد القادر حماد إلى أهل الجية، يقول: إن اسم القرية كان "الجهتين"، لأن شارعاً صغيراً كان يقسمها إلى شطرين، أو جهتين. ثم رحل منها شطر، إثر نزاع داخلي؛ فسميت "الجهة"، ثم حرفت إلى "الجية"[6]. ويعزز مثل هذا

---

[1]ـ أنظر: مختار الصحاح. والمنجد. مادة: جوى.

[2]ـ أنظر: المنجد. مادة: جوى.

[3]ـ مصطفى مراد الدباغ. ص252

[4]ـ أنظر: المنجد. مادة: جوى.

[5]ـ رأى الباحث ذلك بنفسه، عند زيارته لموقع القرية، عام1974

[6]ـ انظر: الوطن والذاكرة (الجية). البيادر السياسي. العدد398. ص68. وقد أيدت شهادة الحاج حلمي عابد هذا القول.

الرأي عندي ما ورد في المصادر، من أن أهل قرية "كوكبا" القريبة يرجعون في أصولهم إلى قرية الجية، ومنها ارتحلوا إلى "حليقات" قبل أن ينتهوا إلى "كوكبا". كما أن من الممكن التكهن بأن تسمية القرية باسم "الجهتين" ترجع إلى كون الجية بالفعل مقسومة إلى جهتين، بفعل الوادي[1].

الموقع الجغرافي والتضاريس:

تقع قرية الجِيَّة على بعد حوالي عشرين كيلومتراً، للشمال الشرقي من مدينة غزة[2]. ومكانها بالضبط شرقي ذلك الطريق البري التاريخي المرصوف، الواصل ما بين غزة و المجدل: فقبيل وصول الطريق إلى مفترق المجدل المعروف الآن، بحوالي ثلاثة كيلومترات، إلى الشرق، بجانب الطريق، تبدأ أراضي الجِيَّة، ممتدةً نحو الشرق، حيث تقع بيوت البلدة بعد حوالي كيلومترين اثنين، و تقوم عليها الآن مستعمرة يهودية تحمل الاسم نفسه (جِيَّة).

يبلغ متوسط ارتفاع القرية عن سطح البحر خمسين متراً[3] وهذا الارتفاع لا يكفي لجعلها قرية مرتفعة التضاريس، خصوصاً وأن التلال تحيط بها من جهات متعددة، بصورة تجعل القرية كما لو

---

[1]ـ من شهادة الحاج حلمي عابد. وانظر: مصطفى مراد الدباغ. ص252

[2]ـ تختلف المصادر في تحديد المسافة ما بين غزة والجية، ففي موسوعة (بلادنا فلسطين) يحدد المرحوم مصطفى مراد الدباغ المسافة الفاصلة ما بين الجِيَّة وغزة بثلاثة وعشرين كيلو متراً. بينما يرى صاحب كتاب (كي لا ننسى) أن المسافة هي تسعة عشر كيلو متراً فقط. وربما كان مرجع هذا، الاختلاف في اعتبار المسافة المقصودة وكونها تبدأ من حدود القرية، أو من بيوت البلدة. انظر: مصطفى مراد الدباغ. ص253. وكذلك: وليد الخالدي. كي لا ننسى. ص533

[3]ـ أنظر: وليد الخالدي. ص533

كانت وادياً واسعاً خصب التربة قريب الماء. ويخترق القرية، من وسطها تقريباً، وادٍ واسع يمتلئ بالماء طوال شهور الشتاء. وقد قام اليهود، بعد النكبة، بتسوية الوادي وإزالة تضاريسه، كما لاحظ الباحث ذلك بنفسه عند زيارته لأطلال القرية، في العام1974.

ولا تبعد قرية الجِيَّة عن البحر كثيراً، حيث يمكن تقدير المسافة، ما بين الجِيَّة والبحر، بما لا يزيد عن ستة كيلومترات تقريباً، تقع كلها في أراضي قريتي نعليا و الجورة.

والقرى التي تحد أراضي الجِيَّة، من جهاتها الأربع، هي كل من: نعليا من الغرب، وبربرة من الجنوب الغربي والجنوب، وبيت طيما من الشرق والشمال الشرقي، والمجدل من الشمال.

وقد أقامت قوات الحلفاء، إبان الحرب العالمية الثانية، في أراضي القرية الغربية، معسكراً لها، قبل أن يتم تفكيكه مع جلاء البريطانيين وإنهاء الانتداب قبيل النكبة. واستولى أهل الجِيَّة والقرى المجاورة على ما تبقى من محتوياته. وقد كان خط السكة الحديدية، الواصل إلى مصر، يمر كذلك في أراضي القرية الغربية، غربي المعسكر، وكثيراً ما سافر أبناء القرية عبره إلى مصر، للزيارة أو لطلب العلم. وع ذلك فقد ظلوا مضطرين إلى السفر إلى محطة المجدل أو محطة غزة، لاستقلاله؛ نظراً لعدم وجود محطة ركاب في الجية[1].

[1]ـ من شهادة السادة: ابراهيم حسين محجز، وخالد ناجي، ورمضان حسن عاشور، وحلمي عابد.

الجِيَّة في التاريخ:

لا تذكر المصادر أشياء كثيرة عن تاريخ الجِيَّة. إلا أن هناك عدة شواهد تؤكد لنا على عراقة القرية وقدمها، نذكر منها ما يلي:

1. يذكر الباحث عبد القادر حماد أن: "الجية قرية قديمة ورد ذكرها في سجلات الحروب الصليبية، لكنها دمرت"[1]، ثم أعيد بناؤها.

2. يوجد في القرية العديد من المواقع الأثرية. وقد احتوت على بقايا آثار معمارية. كما يوجد بها مقام للشيخ سليمان، وهو من أولياء الله الصالحين[2]. وهذا المقام يقع في وسط البلد بين البيوت، وهو عبارة عن قبر وسط بناء مسور يحتوي على شجرة جميز ضخمة. وهذا المقام، خلافاً لكل المقامات الأخرى، غير مستور بكسوة، ولا تقام حوله الطقوس والشعائر، حتى إن كثيراً من كبار السن الجيايوة لم يعودوا يذكرونه الآن. وينقل المرحوم مصطفى مراد الدباغ عن كبار السن أن الجية تحتوي على بقايا قطع قديمة وعمود[3].

3. كما ينقل المرحوم الدباغ عن أهالي الجِيَّة أن قريتهم كانت خراباً، ويعود تجديد بنائها إلى محمد أبو نبوت[4] ـ والي أحمد باشا

---

[1]ـ عبد القادر إبراهيم حماد. الوطن والذاكرة (الجية). البيادر السياسي. العدد398. ص68

[2]ـ انظر: إبراهيم حماد. نفس الصفحة.

[3]ـ من شهادة الحاج حلمي عابد. وانظر: مصطفى مراد الدباغ. ص253

[4]ـ محمد آغا أبو نبوت: كان من جملة المماليك المتقدمين لدى أحمد باشا الجزار، والي ولاية عكا. وبعد وفاة الجزار خلفه سليمان باشا، فعهد إلى أبي نبوت بمتسلمية يافا وغزة، على أن يكون مقامه في يافا، وله وكلاء في مدن المتسلمتين. بقي أبو نبوت في وظيفته هذه حتى عام1818. أنظر مصطفى مراد الدباغ. ص253

الجزار ـ الذي أسكن فيها السكان، وبنى فيها جامعها، وحفر البئر الموجودة بجانبه[1].

4. لقد حرف الصليبيون اسم القرية وسموها (ألجي: Algie) وهذا يؤكد أن هذا الاسم كان موجوداً عند دخولهم فلسطين[2].

5. معروف أن اليهود عندما جاءوا إلى فلسطين، في عهد يوشع بن نون، استخدموا نفس الأسماء الكنعانية للبلدان، وسجلوها في التوراة (مثل شكيم وأورشليم ..... إلخ) ثم إنهم بعد النكبة، قاموا باستحياء هذه الأسماء الكنعانية القديمة، وأطلقوها على نفس الأماكن كما هي. وإن في إطلاقهم اسم (جِيَّة)[3] على قريتنا لدليل على أن هذه الاسم قديم قدم الكنعانيين وكذلك القرية.

لكل ما سبق، فإننا نعتقد أن قرية الجية هي قرية قديمة، وتحمل اسماً قديماً. ولا شك أن خرابها الأول تم في عهد الصليبيين ـ إن لم يكن بأيديهم ـ ذلك أن هذه المنطقة كانت مسرحاً للعراك المسلح، طوال قرون. وقد ذكرت لنا المصادر التاريخية كيف خرب السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي ـ رحمه الله ـ قلعة عسقلان المجاورة، خوفاً من وقوعها في يد الصليبيين مرة أخرى[4]، حتى ضربت بخرابها الأمثال، وقيل: كانت عسقلان مدينة. كما ذكرت هذه المصادر كيف وقعت هذه المعارك في المنطقة. ومثالاً على ذلك،

---

[1]ـ نفس المصدر. نفس الصفحة.

[2]ـ أنظر: نفس المصدر. نفس الصفحة.

[3]ـ ومثال ذلك الاسم الذي أطلقه اليهود على قرية بيت طيما المجاورة، إذ سموها: بيت شكما. والشبه واضح.

[4]ـ انظر: ابن كثير. البداية والنهاية. المجلد1. الجزء13. ص164ـ 165. وانظر كذلك: مصطفى مراد الدباغ. ص173

المعركة الرهيبة التي وقعت سنة 642هـ/ 1244م، في "هربيا"، بين الصليبيين وحلفائهم الخونة من حكام دمشق من جهة، والمسلمين بقيادة حكام مصر الأيوبيين من جهة أخرى.

فعندما تولى الملك الصالح نجم الدين أيوب حكم مصر، كان عمه الملك الصالح إسماعيل من أكبر أعدائه؛ فاستولى على دمشق وبلاد الشام، واتحد مع الصليبيين، متنازلاً لهم عن القدس وطبريا وعسقلان والشقيف، في مقابل أن يدعموه في حربه ضد ملك مصر.

فجهز ملك مصر حملة عسكرية انطلقت من غزة، وهناك انضمت إليها مجموعات مصرية أخرى. وفي المقابل، قام ملك دمشق الخائن بتجهيز حملة مضادة يرافقها الصليبيون، وانضمت إليها في الطريق مجموعات أخرى. وكانت قيادة الحملة الشامية موكولة إلى الصليبيين، وقد رفعوا الصلبان فوق رؤوس عساكر السلطان الدمشقي الخائن. ثم دارت بين الفريقين معركة هائلة، استمرت يومين كاملين؛ أنزل الله في نهايتهما نصره على عباده المؤمنين. ووضع الجيش المصري سيفه في رقاب الخونة والصليبيين، وأسروا قائد الحملة الصليبي. وقد قدر عدد القتلى في تلك المعركة بأكثر من ثلاثين ألفاً. وقد كانت هذه من أكبر الكوارث التي حلت بالصليبيين، بعد حطين، حتى سميت "حطين الثانية". وعلى إثر هذه الموقعة استولى ملك مصر، الصالح نجم

الدين أيوب، على القدس، وحررها مرة أخرى، كما استولى على سواحل فلسطين، وغيرها[1].

ولنا أن نتصور الأمكنة الواقعة تحت سنابك الخيل، في هذه الموقعة الفاصلة، التي شهدها مئات الآلاف من المقاتلين، لنتوقع أن هذه الأمكنة لا بد أن تكون، في تلك الفترة، ساحة واسعة خالية من السكان، خصوصاً وأنها واقعة تحت حكم أجنبي، أجمعت المصادر ـ حتى المعادية منها ـ على وصفه بالوحشية، والطمع، وسفك الدماء.

إن هذه التسمية الثابتة للقرية، طوال العصور الوسيطة والحديثة، على اختلاف الدول التي حكمت المنطقة، لشاهد له اعتباره ـ في نظرنا ـ على قدم هذه التسمية وقدم القرية، التي ربما مر عليها زمن درست فيه معالمها وخلت من السكان.

الوادي:

وادي الجية من الأودية الجافة التي تمتلئ بالماء، في فصل الشتاء فقط. وكان الوادي ينصب نحو القرية، قادماً من جبال الخليل ـ قاطعاً أراضي قرية كوكبا[2]، مروراً بقرية بيت طيما ـ مخترقاً قرية الجِيَّة من شمالها الشرقي ؛ متجهاً نحو الجنوب الغربي ؛ قاسماً بذلك أراضي القرية إلى قسمين، يصعب التواصل بينهما في أيام الفيضان. ولأن كبار السن كانوا يعرّفون الجهات الجغرافية

---

[1]ـ انظر: مصطفى مراد الدباغ. ص263ـ 246

[2]ـ من شهادة الحاج: أحمد المبحوح، من قرية بيت طيما.

تعريفاً تقريبياً، فقد اعتبروا الشمال الشرقي هذا مجرد (شرق)، كما اعتبروا الجنوب الغربي ذاك مجرد (غرب): وبذلك فانهم يصفون الوادي، في اختراقه لقرية الجِيَّة، بأنه اختراق من الشرق نحو الغرب[1].

وهذا يفيدنا في تفسير وصفهم الشفوي لانقسام قرية الجية ـ بفعل الوادي ـ إلى قسمين: شمالي وجنوبي. فليس هذا إلا وصفاً تقريبياً، لا يمكن لنا أن ننعته بالدقة ؛ وذلك بالنظر إلى خط سير الوادي، داخل الجية، في الاتجاه الجنوبي الغربي، ثم اعتداله جنوباً في أراضي قرية بربرة، ثم استمراره في قرية بيت جرجا، ومنها إلى قرية دير سنيد، ليصب بعد ذلك في وادي الحسي[2] حيث يلتقي الواديان مع وادي الحليب[3]. وبذلك تتحد الأودية الثلاثة في أرض دير سنيد، قبل سبعة كيلو مترات من البحر، مشكلةً وادياً واسعاً ينحدر غرباً، بعد أن يعبر الطريق المرصوف، تحت الجسر، مواصلاً سيره إلى هربيا، ومن ثم إلى البحر[4].

وهكذا نلاحظ أن مسير وادي الجِيَّة إنما هو من الشمال باتجاه الجنوب، باستثناء الجزء الذي يمر منه في الجية؛ حيث قدرنا أنه

---

[1]ـ يشهد بهذا الوصف السيد: ابراهيم حسين محمد محجز، من كبار السن الأحياء، والمرحوم: محجز أحمد خليل محجز.

[2]ـ يأتي وادي الحسي من جبال الخليل شرقاً، مروراً بأرض الجبيرات بقضاء بئر السبع، إلى أراضي برير، ومن ثم إلى نجد، ثم سمسم ثم دير سنيد. من شهادة السيد: محمد عثمان أبو زايدة، من قرية برير. وانظر في ذلك: مصطفى مراد الدباغ. ص21

[3]ـ يأتي وادي الحليب من أراضي بيت حانون جنوباً، متجهاً نحو دمرة، ثم دير سنيد. انظر: مصطفى مراد الدباغ. ص21

[4]ـ أنظر: الموسوعة الفلسطينية. القسم العام. المجلد2. ص240

يتجه نحو الجنوب الغربي[1]. ولو كان اتجاه وادي الجِيَّة من الشرق إلى الغرب مباشرة، لاتجه نحو نعليا، ومن ثم إلى الجورة، ثم البحر. ولكنه لم يفعل.

أملاك القرية ومزروعاتها:

مقارنة بقرى قضاء غزة، تعتبر قرية الجية، قرية متوسطة من حيث المساحة وعدد السكان: فلا هي من القرى الست الكبرى في القضاء، ولا هي من القرى الست الصغرى فيه؛ مثلها في ذلك مثل قرى نعليا وبيت طيما وبيت جرجا[2].

تبلغ مساحة أراضي الجية، ثمانية آلاف وخمسمائة وستة دونمات (8506)، لا يملك اليهود منها شبراً واحداً، منها مائتان وخمسون دونماً للطرق والوديان والسكك الحديدية وما إليها. وتبلغ مساحة الأرض التي أقيمت عليها بيوت القرية خمسة وأربعون دونماً[3]، والباقي من ذلك كله صالح للزراعة؛ بنوعيها البعلي المعتمد على ماء المطر، والمروي المعتمد على الماء المستخرج من الآبار.

---

[1]ـ تأكد الباحث من ذلك بنفسه، عند زيارته لموقع القرية عام1974

[2]ـ القرى الست الكبرى في قضاء غزة هي: الفالوجة ـ عراق المنشية ـ حمامة ـ المسمية الكبيرة ـ اسدود ـ جباليا. والقرى الست الصغرى هي: بعلين، خزاعة، الخصاص، دير سنيد، دمرة، عبدس. وهناك حليقات والمسمية الصغيرة اللتان تقاربان دمرة وعبدس. أنظر: مصطفى مراد الدباغ. ص12ـ13

[3]ـ نفس المصدر. ص253

هـذا وقـد كانـت القريـة، حتـى نهايـة العشـرينيات مـن القـرن الماضـي، مجرد قرية بعلية، لا تمارس إلا الزراعة المعتمدة على الأمطار: كـالقمح والشـعير والـذرة الشـامية والبقوليـات و القِثَّائيـات والبطـيخ والباميـة والبنـدورة... إضـافةً إلـى بعـض أشـجار الفواكـه، كالتين والرمان والجميز والعنب...

وكان أهل القرية يستقون مياه الشرب من بئر البلد، وهو البئر القديم الذي حفره المملوك (محمد آغا أبو نبوت) جنوبي الوادي قريباً من المسجد، عندما أعاد بناء البلد في بداية القرن التاسع عشر. وقد كان يتم سحب المياه منه بالطرق البدائية، ثم تم تركيب آلات الشفط الحديثة عليه، في عام1945[1].

أما إلى الشمال، وراء الوادي، فقد قام المختار محمود خليل ـ مع نهاية العشرينيات من القرن الماضي ـ بحفر بئر ارتوازي، وأقام عليه آلات الشفط الحديثة، وسط قطعة أرض مساحتها ثمانون دونماً. لاستزراع بيارة حمضيات. وقد تم تشجير أربعين دونماً منها بأنواع الحمضيات المختلفة، بينما بقيت الأربعون دونماً الأخرى دون تشجير[2].

---

[1]ـ انظر: عبد القادر حماد. نفس الصفحة.

[2]ـ من شهادات السادة: ابراهيم حسين محجز. وعطية خضر محجز، ومحجز أحمد محجز.

كما قام الشيخ المقدسي (أمين العوري) باستزراع بيارة حمضيات أخرى، مساحتها مائة دونم في أراضي القرية الشرقية، على قطعة أرض تسمى (أم اللوف) تستقي من بئر خاص بداخلها[1].

وبعد النكبة، قام اليهود بتدمير هاتين البيارتين وردم آبار القرية الثلاثة، كما هدموا جميع بيوت القرية، وأزالوا معالمها، وسووا واديها، ثم أقاموا على أنقاض كل ذلك قرية تحمل نفس الاسم: جِيَّة، ولكن بعد أن استقدموا لها سكاناً آخرين من الأشكناز.

أما باقي أراضي القرية، الممتدة في الجهات الأربع، فقد كانت عبارة عن مساحات واسعة، يملكها السكان وتسمى (الموارس) وهي مخصصة لزراعة المزروعات الأساسية: كالقمح والشعير والذرة والمزروعات البعلية الأخرى.

مواسم الزراعة والحصاد:

أراضي قرية الجِيَّة كانت كلها تدور حول بيوت البلدة، وتحيط بها من الجهات الأربع وتزرع زراعةً بعلية، معتمدةً على ماء المطر، باستثناء الأراضي المزروعة بالحمضيات و الأشجار المثمرة. وكان الجياوي يسمي قطعة الأرض المخصصة لزراعة الحبوب: أرض المفتلح[2]. وكانت كل قطعة من هذه الأرض

---

[1]ـ من شهادة السيد: ابراهيم حسين محجز. ويذكر المرحوم مصطفى مراد الدباغ أن مساحة الأراضي المزروعة بالحمضيات في الجِيَّة تبلغ 189 دونماً. وبمقارنة هذا الكلام مع شهادات الشهود سنجد اختلافاً في الأرقام لا يتجاوز التسعة دونمات. انظر: مصطفى مراد الدباغ. ص253

[2]ـ سمع الباحث هذا التعبير مرات عديدة من المرحوم والده.

مقسمة بين أبناء العائلة الواحدة، بخطوط طولية تسمى: الموارس، و تفصل بينها قطع حديدية. وتبعاً لهذا التقسيم فإن حصة الفلاح الواحد تكون في الغالب خطاً متطاولاً قد لا يزيد عرضه عن عدة أمتار، في طول قد يصل إلى الكيلومترات. وهذه الحصة تسمى (مارس).

ولا شك أن الاعتماد المباشر على السماء في الرزق، كان هو هادي الجياوي الفلسطيني، خصوصاً في لحظة الزراعة (البذار)، إذ ينثر الحبوب وهو يدعو بقلبه ولسانه متوجهاً إلى الله بالقول: "الله يطعمنا ويطعم الطير"... "الله يطعمنا ويطعم منا"[1].

ونظراً لهذا الاعتماد الأساسي على ماء المطر، فإن الزراعة لم تكن تتعدى الموسم الواحد في السنة، وإن تفاوتت مواعيد الزراعة والحصاد، تبعاً للصنف المزروع: فزراعة القمح مثلاً كانت تبدأ بعد أول إمطار، وفي الأغلب لم تكن تتعدى شهر تشرين الثاني (نوفمبر). أما زراعة الشعير فقد كانت قبل ذلك بقليل، وربما في شهر تشرين الأول (أكتوبر). وفي نفس هذا الوقت كان يتم تخصيص بعض المساحات الصغيرة لزراعة البقوليات والقثائيات والبامية والبندورة ... أما زراعة الذرة الشامية فكانت تتم في شهر شباط (فبراير). أما حصاد القمح فكان في الغالب في شهر أيار (مايو) بعد جفاف الحبوب، في حين أن حصاد الشعير كان قبل ذلك بقليل في شهر نيسان (أبريل). ولكن أقسى حصاد كان هو

[1]ـ من شهادة الحاج حلمي عابد.

حصاد الذرة الشامية، الذي كان يتم في شهر تموز (يوليو). وكان الفلاح الجياوي يؤرخ لشدة الحر بتعبير: قطاعة الذرة[1].

أما إلى جانب أشجار الحمضيات، في بيارة محمود خليل، فقد كان يتم زراعة بعض المزروعات الصيفية، المعتمدة على ماء البئر، من مثل: الملوخية والباذنجان وقصب السكر ... وكانت كل هذه المزروعات لا تتعدى الاحتياجات الخاصة، لعائلة محجز. مع العلم أن أغلب الجيايوة كانوا ـ كما كل القرويين الفلسطينيين ـ يعمدون إلى زراعة أغلب هذه المحاصيل، زراعة بعلية ترتوي خلالها الخضروات على ما تبقى من ماء في التربة من فصل الشتاء المنصرم. ومن الجدير ذكره أن كل هذه الخضروات كانت مخصصة للاستهلاك البيتي الخاص بأصحابها وهباتهم للآخرين، وليس للبيع.

[1]ـ من شهادة الحاج: أحمد سالم عوض.

الفصل الثاني
المجتمع

بيوت القرية:

مخطط القرية الهندسي اتخذ الشكل الدائري، على مساحة خمسة وأربعين دونماً تقريبا[1] وكانت كلها ـ ببيوتها ومسجدها وبئرها ومقبرتها ـ تقع جنوبي الوادي، باستثناء بيتين أو ثلاثة جهة الشمال، يعزلها الوادي عن باقي القرية في أيام الفيضان الكبرى[2]. وكل بيوت الجِيَّة مبني من الطوب النيئ، المصنوع من الطين المخلوط بالقش والمجفف في الشمس. وكذلك السقوف.

ويتكون البيت الجياوي من عدة غرف، أمامها فناء واسع، قبته السماء الصافية فقط. وكثيراً ما يكون في طرف هذا البناء (بايكة): وهي عبارة عن غرفة واسعة قد تصل مساحتها إلى خمسين متراً مربعاً، لإيواء الحيوانات، وأكثرها من الأبقار التي كان أهل الجِيَّة مغرمين باقتنائها، ليس فقط للاستفادة من ألبانها وأجبانها، وإنما كذلك ـ وهو الأهم ـ لمساعدتهم في حراثة الأرض وملاحقة الضباع. وليس من الضروري أن تكون البايكة للأبقار فقط، فكثيراً

---

[1] ـ أنظر: الموسوعة الفلسطينية. القسم العام. المجلد الثاني. ص:132

[2] ـ من شهادة الحاج: أحمد سالم عوض.

ما يتحدث الجياوي عن هروبه من الغرف الباردة ليالي الشتاء، للمبيت في البايكة بالقرب من أنفاس البقر الدافئة[1].

كيف بنى الجياوي بيته:

البناء في الجِيَّة بسيط تماماً: إذ يقوم البنّاء بصف الحجارة وفق ما خطط له صاحب البيت، مستخدماً الطين فقط. وكثيراً ما كان البناء يتم على مراحل ـ إذ قد تُبنى اليوم غرفة ثم قد تليها غرفة أخرى بعد أعوام ـ وبعد إتمام عملية البناء يأتي دور السقف. ويوم السقف في الجِيَّة كلها هو يوم مشهود، تتجمع فيه النساء ليجبلن جبلة الطين الهائلة مع القصل، بينما يتعاون الرجال على رفع جذع شجرة ضخمة، كجسر أساس يحمل فوقه السقف الهائل؛ بعيدانه المصطفة وطينه المجبول، ثم بعد ذلك عقاربه وحياته التي سوف تسكنه، والقمح الذي سوف ينبت فوقه. وبعد رفع السقف وإقامته يتجمع الرجال والنساء، مقتعدين الأرض، ليلتهموا باطية[2] ضخمة من الفت: ربما يكون فت الخبيزة، أو فت العدس، وربما في مرات قليلة يكون الثريد باللحم[3].

البيت الجياوي من الداخل:

يتكون البيت من عدة غرف متجاورة جدرانها عريضة، يتراوح سُمك الجدار ما بين المتر إلى نصف المتر، وهذا السمك الهائل له

---

[1]ـ من شهادات السادة عطية خضر محجز، وابن عمه ابراهيم حسين محجز، والحاج أحمد سالم عوض

[2]ـ الباطية: وعاء خشبي يقدم فيه الطعام لأكثر من عشرة أشخاص.

[3]ـ من شهادة الحاجة: آمنة خضر محجز.

سببان: الأول والأهم هو القوة أمام الزمن وتحت السقف، والثاني لكي يسمح بافتتاح جزء من هذا السمك، فيما يشبه خزانة مفتوحة وسط الجدار لتعليق الملابس، أو كحامل للفرش والبسط والأغطية، المعدة للاستخدام والضيوف. وكثيراً ما كان يتم فتح فتحات صغيرة بين غرفتين، لوضع السراج الزيتي المضيء فيها، بحيث يضيء السراج الواحد أكثر من غرفة، أما إذا أريد للسراج إضاءة غرفة واحدة، فالفتحة في الجدار تكون غير نافذة، وإنما هي كوة صغيرة مفتوحة من جهة واحدة، كحامل صغير[1].

أما أمام الغرف، باتجاه الفناء، فكثيراً ما يقام عريش من عيدان الذرة، أو تقوم عليه دالية عنب فتغطيه بأوراقها وتزينه بعناقيدها. وتحت العريش يكون المجلس الصيفي (المصطبة): وهي عبارة عن أرضية ممهدة بالطين المجبول المجفف، مرتفعة عن الفناء ما يقارب العشرين سنتيمتراً، وكثيراً ما تفننت النساء بتزيين هذه المصطبة: فأقل النساء رغبة في ذلك تخلط مع طين المصطبة القصل والقش المتخلف من وراء الحصاد، وذلك لزيادة تماسك المصطبة، أما أكثرهن إبداعاً فكانت تزين وجه المصطبة بقشور العدس المتخلفة من وراء الطاحون، فتجعله ذا ألوان متموجة، وعندئذ تسمى المصطبة (العدسية)[2].

هذا هو العريش الذي يتظلل به الجياوي في بيته أيام الصيف وفي لياليه الحارة. ولا شك أن هذا العريش وتلك الغرف كلها سوف

---

[1]ـ لقد رأى الباحث بنفسه أمثال هذه البيوت، في حارة الزيتون بغزة، في السبعينيات من القرن الماضي، وكان يقطنها جيايوة، وكانوا يؤكدون أنها مثل بيوت الجِيَّة تماماً.

[2]ـ من شهادة الحاجة: آمنة خضر محجز، أرملة المختار محمود خليل.

تحتاج إلى إصلاح سنوي بعد انتهاء موسم الأمطار، وهذا العمل خاص بالنساء؛ يقمن به متعاونات من بيت إلى آخر.

وكان الجياوي يخزن قمحه لمؤونة العام في المطمورة: وهي بناء يتم داخل حفرة من الأرض، ويغطى ويدفن، بعد أن يُملأ بالقمح. ولا تُفتح المطمورة إلا في فترات متباعدة [1]، لاستخراج ما يكفي لملء الخابية الموجودة داخل غرفة من غرف البيت. ويمكن القول إن الخابية كانت للاستخدام اليومي: وهي عبارة عن بناء من الطين يشبه صومعة صغيرة واسعة من أسفلها، تضيق كلما ارتفعت، حتى تلتقي جدرانها مشكلة سقفاً هرمياً. وكان يتم عمل فتحة في أعلاها لصب القمح، تغطى بعد ذلك، وفتحة في الأسفل لتفريغ شيء من المخزون للاستخدام اليومي، تغلق بعد ذلك بقطعة من القماش[2].

وكان الجيايوة يحملون أكياس القمح إلى مطحنة بربرة، أو مطحنة المجدل، لطحنها هناك. وفي السنوات الأخيرة، قبل النكبة بأعوام، أنشأ شخص من يافا اسمه (قسطنجي)[3] مطحنة في أراضي القرية الغربية، ما بين السكة والأسفلت. وصار الجيايوة يستخدمونها. أما في الحالات التي لا تستوجب كميات كبيرة من الطحين، فكانت الجياويات يستخدمن الطاحون البيتي[4].

---

[1]ـ من شهادة الحاج: أحمد سالم عوض.

[2]ـ استمرت الخوابي موجودة في بيوت المخيم حتى سنوات الخمسينيات من القرن الماضي. وقد رآها الباحث بنفسه.

[3]ـ كذا ينطقها السيد محمد أحمد خليل محجز (سيبا)، ولعل المقصود (قسطندي).

[4]ـ من شهادة الحاج حلمي عابد، والسيد محمد أحمد خليل محجز (سيبا).

ومن الجدير بالذكر أن الشعير المستخدم للأكل الآدمي، كان يتم تنخيله سبع مرات على الأقل، قبل أن يصبح صالحاً لصناعة الخبز. وتؤكد كثير من النساء أن طعمه كان رائعاً، خصوصاً عندما يُخبز على الصاج؛ بل إنه أفضل بكثير من خبز الذرة[1].

حارات الجية وعائلاتها:

تنقسم قرية الجِيَّة إلى ثلاث حارات هي:

1. حارة الغبون.
2. حارة الشناطوة.
3. حارة القطوي أو (القدود).

وهذا التقسيم إنما هو تقسيم عرقي اجتماعي فقط، أما من الناحية الجغرافية فقد كانت بيوت القرية وأراضيها كلها متداخلة متشابكة لا تفصل بينها فواصل، وكثيراً ما قيل بأنه بإمكان شخص واحد السير فوق أسقف القرية، دون أن يضطر للهبوط، نظراً لتقارب البيوت وتداخلها.

وكان لكل حارة من الحارات مختارها، كما كان للقرية مختارها الأول، الذي ترجع إليه في الملمات والمهم من الأمور. وقد كان مختار القرية الأول في أواخر العهد العثماني: محمود خليل

[1]ـ من شهادات الحاجة أم عطية أبو شريعة، والحاجة آمنة خضر محجز.

محجز، الذي توفي في وباء الكوليرا الذي اجتاح القرية قبل حوالي عشرة أعوام من النكبة[1].

وقد بلغ عدد أفراد قرية الجية، حسب تقديرات عام1945، ألفاً ومئتين وثلاثين نسمة (1230)، جميعهم من العرب المسلمين، وينقسمون إلى ثلاثة تكتلات اجتماعية أساسية. وكل كتلة هي حارة من حارات القرية الثلاث: الغبون والشناطوة والقطوي. ويضم كل تكتل، من هذه التكتلات الثلاثة، العائلات الآتية:

أولا: عائلات حارة الغبون، وهي:

1. عائلة محجز.
2. عائلة سليمان.
3. عائلة أبو شنب.
4. عائلة العبسي.
5. عائلة صيام (القرامدة).
6. عائلة ياسين حلوة.
7. عائلة سليم عيسى.
8. عائلة ربيع.
9. عائلة سالم وسلامة.
10. عائلة راضي.
11. عائلة الأخرس.

[1]ـ قال السيد: ابراهيم حسين محجز: إن الناس كانوا في تلك السنة، يموتون يومياً بعد إسهال عنيف.

ثانياً: عائلات حارة الشناطوة، وهي:

1. عائلة الشنطي.
2. عائلة طه.
3. عائلة علوش.
4. عائلة أبو عواد.
5. عائلة السحار.
6. عائلة عباس وزايد.
7. عائلة درويش.
8. عائلة الحاج إبراهيم.
9. عائلة حماد.
10. عائلة خير الدين.
11. عائلة حسن إبراهيم.
12. عائلة الطيبي (عبد الواحد).

ثالثاً: عائلات حارة القطوي (القدود)، وهي:

1. عائلة عابد.
2. عائلة صباح.
3. عائلة عوض.
4. عائلة سويدان.
5. عائلة درويش.
6. عائلة المشني.
7. عائلة نصر الله.
8. عائلة جبر ريان.

9. عائلة موسى.

هذا وقد اعتمدنا سجلات جمعية أهالي الجية، عند إثبات أسماء هذه العائلات[1]. علماً بأن كثيراً من كبار السن ينكرون هذه التفريعات الكثيرة، على اعتبار أن كثيراً من هذه العائلات إنما تفرع وانقسم حديثاً، ويعود إلى أصل واحد وعائلة واحدة: وعلى سبيل المثال فإن أبو شنب والعبسي عائلة واحدة، وراضي وسليم عيسى عائلة واحدة، والشنطي وطه وعلوش وخير الدين وعباس وزايد عائلة واحدة ... إلخ[2].

أعيان الجِيَّة ووجهاؤها:

لقد اجتهد الباحث مطولاً، وقابل عديداً من وجهاء الجية الآن. ولأن هؤلاء كانوا شباناً قبل النكبة، فلم يتم تسجيل أسمائهم كأعيان للجية، لأن هدف الباحث هو تسجيل أسماء أعيان الجية ووجهائها قبل النكبة. وقد وصل إلى علم الباحث الأسماء التالية:

1. محمود خليل محجز: الضابط السابق في الجيش العثماني. وهو عين أعيان الجِيَّة ومختارها الأول، ومختار الغبون كذلك. وقد اشتهر في قريته والقرى المجاورة، بالسماحة والكرم ولين الجانب وسعة الرزق ومناصرة الضعيف والإصلاح بين الناس. وقد كان الرجل أحد وجهاء جنوب فلسطين المعدودين، وتربطه بوجهاء

---

[1]ـ من سجلات جمعية أهالي الجية، حسب شهادة عضو الهيئة الإدارية للجمعية السيد: ياسين أبو عواد.

[2]ـ كل من سألناهم من كبار السن يؤكدون هذه الشهادة، على اعتبار أنها أشهر من أن تحتاج إلى توثيق، ومن هؤلاء الحاج: أحمد سالم عوض، وإبراهيم حسين محجز.

القرى المجاورة والمشهورين منها صلات الصداقة والتناصر. وكان من أقرب مقربيه كبير بربرة وعين أعيانها: أحمد عبد الرحمن[1].

2ـ حسين محمد خليل محجز: وهو ابن أخ محمود خليل. وقد تولى مخترة القرية، بعد وفاة عمه في منتصف الثلاثينات من القرن العشرين. وقد حاز المرحوم ثقة أهل الجية وحبهم وقبولهم، حتى أن أحداً لم ينازعه المخترة بعد وفاة عمه. وقد أدرك النكبة، وتوفي في مخيم الشاطئ بغزة في ستينيات القرن العشرين.

3ـ محمد طه (الدبسي): وهو مختار حارة الشناطوة، ورجل الإصلاح المعروف في الجية كلها. ولم يدرك النكبة. وتوفي في الجية.

4ـ رجب ياسين طه. وهو الذي تولى مخترة حارة الشناطوة بعد وفاة الدبسي. وقد كان من رجال القرية وأعيانها المعدودين. وقد توفي ودفن في الجية.

5ـ حسن داود طه (أبو داود) المشهور بلقب (أبو دلول). وقد تولى مخترة حارة الشناطوة بعد وفاة المرحوم رجب ياسين طه. وكان أحد أعيان الجية القلائل المعروفين بالإصلاح وسعة الصدر. وقد أدرك أبو دلول النكبة وهاجر، وتوفي في مخيم الشاطئ في الثمانينات من القرن العشرين.

6ـ الشيخ حمدان عابد: وهو الشيخ الأزهري والمأذون الشرعي، ومختار حارة القطوي، ورجل الإرشاد الذي تولى الأمر بالمعروف

[1]ـ من شهادات السادة: ابراهيم حسين محجز، والحاج: أحمد سالم عوض.

والنهي عن المنكر، ومواجهة البدع، والدعوة إلى الخير. وقد كان له الفضل في توعية أهل الجية بحجم المؤامرة على فلسطين: إذ إليه يرجع الفضل في انحياز الجيايوة إلى المعسكر الوطني بقيادة الحاج أمين الحسيني، رغم علاقات المصلحة التي كانت تربط الكثيرين منهم بمعسكر المعارضة الموالي للبريطانيين. وقد استمر الشيخ في أداء رسالة العلم والجهاد، شاهداً على نفسه وأهل قريته، رافضاً النزوح، متشبثاً بالبقاء في الجية، حتى قتله اليهود مع ابنه عند دخولهم. وقد تولى المخترة من بعده ابنه الثاني (الأمير).

7ـ الشيخ أحمد عابد: وهو الشيخ الأزهري، عضو هيئة علماء فلسطين، وأحد الموقعين المعدودين على بيان تكفير سماسرة الأرض وتخوينهم: ذلك البيان الذي صدر في القدس، في الأربعينات من القرن العشرين، وكان على رأس الموقعين عليه سماحة مفتي فلسطين وقائد ثورتها الحاج أمين الحسيني[1]. هذا وقد كان المرحوم أحد كبار قرية الجية وحارة القطوي وقضاء غزة. وقد عمل في سلك التعليم زمن الانتداب، وتولى التفتيش على المدارس في مناطق قضاء بئر السبع. وقد أدرك الشيخ أحمد عابد النكبة وهاجر، واستقدم معه مكتبته العامرة[2]. وصار يفتي خلال سنوات الهجرة، حتى ذاع اسمه في قطاع غزة، واشتهر، وقصده الناس. وقد توفي في مخيم الشاطئ في العام1973.

---

[1]ـ رأى الباحث هذه الوثيقة منشورة في بعض الكتيبات التي صدرت خلال الانتفاضة الأولى، في الثمانينات من القرن العشرين.

[2]ـ في شهور النكبة الأولى قام ابن أخيه حلمي عابد، خلال إحدى رحلاته إلى الجية، بتحميل الكتب على حمار وإحضارها إلى الشيخ. من شهادة الحاج حلمي عابد.

8. الشيخ عبد الهادي السحار: وهو الشيخ الأزهري من وجهاء حارة الشناطوة قرية الجية. وقد افتتح في بيته كتّاباً لتعليم صبيان القرية القراءة والكتابة، وتخرج عدد منهم على يديه، وواصلوا تعليمهم بعد ذلك في المدارس. ولم يدرك النكبة.

9. الشيخ موسى عبد الهادي السحار الشيخ الأزهري ابن الشيخ السابق. وهو من كبار البلد ووجهاء حارة الشناطوة. وقد كان فقيهاً مصلحاً بين الناس. وقد أدرك النكبة وتوفي في السبعينات من القرن العشرين بمعسكر جباليا.

10. الشيخ إبراهيم صيام (قريمدة): وهو الشيخ الأزهري والوجيه المصلح بين الناس. ويعتبر من كبار حارة الغبون والبلد. وقد أدرك النكبة وهاجر إلى مدينة غزة. وتوفي في التسعينات من القرن العشرين في حي التفاح.

11. الشيخ إبراهيم عليان: من عائلة سليمان. وهو شيخ أزهري ووجيه مصلح بين الناس. من كبار القرية وحارة الغبون. توفي في الجية ودفن بها قبل النكبة.

12. شحادة العبسي: من أشهر رجالات الغبون والجية والقرى المجاورة. وقد تميز بحب الناس له، وصداقاته الممتدة داخل القرية وخارجها. ومن أشهر أصدقائه، وجيه بربرة وكبيرها: أحمد عبد الرحمن. وقد توفي شحادة العبسي بعد النكبة، في الثمانينيات من القرن الماضي، في مخيم الشاطئ.

13ـ الحاج عبد المنعم صيام (عبد قريمدة): من كبار الغبون والجية. وصاحب كلمة مسموعة. ومعروف كرجل من رجالات الإصلاح المعدودين. وقد توفي بعد النكبة، في الثمانينيات من القرن الماضي، في حارة التفاح.

14ـ محمود عبد الرحمن سويدان: وهو من كبار حارة القطوي، ومن رجالات الجية المعدودين. وقد توفي بعد النكبة، في التسعينيات من القرن العشرين، في خانيونس.

15ـ الحاج: محمود راضي: من عائلة شاهين، ومن الرجال المعروفين بالخير في حارة الغبون الجية. وقد توفي بعد النكبة، في الثمانينيات من القرن العشرين، في معسكر جباليا.

16ـ حسن أبو علي (من عائلة سليمان): وهو أحد الوجهاء ورجال الإصلاح المعدودين، لا في حارة الغبون وحدها بل في الجية والقرى المجاورة. ولم يشهد النكبة، وتوفي ودفن في القرية.

17ـ محمد أحمد العبد عوض (أبو عقل): وهو أحد شخصيات حارة القطوي وقرية الجية ورجالاتها المعدودين، وأحد الذين نافسوا الشيخ حمدان على مختترة القطوي. وقد توفي بعد النكبة، في الثمانينات من القرن العشرين في حي الزيتون بمدينة غزة.

18ـ الحاج: محمد عوض (أبو سالم): وهو من كبار حارة القطوي، ووجهاء الجية المعدودين. وقد اشتهر بالإصلاح بين الناس وعمل الخير. ولم يشهد النكبة، وتوفي ودفن في القرية.

19ـ الحاج خليل ناجي (أبو فيصل) من عائلة سليمان. وهو من الوجهاء المعدودين في حارة الغبون والجية، ومن رجال الإصلاح المعروفين. وقد توفي بعد النكبة، في التسعينات من القرن العشرين في خان يونس.

20ـ الحاج إبراهيم مصطفى عابد: وهو من كبار حارة القطوي، زمن رجال الجية المعروفين بالإصلاح. وكانت له خبرة في الطب العربي والبيطرة، والعلاج بالكي والأعشاب. ولم يدرك النكبة وتوفي في الجية.

21ـ إعْمر طه (أبو حسين): وهو أحد كبار حارة الشناطوة ورجال الإصلاح في القرية. ولم يدرك النكبة وتوفي في الجية.

22ـ أحمد جبر ريان: من كبار حارة القطوي، ووجهاء الجية المعدودين. أدرك النكبة وهاجر وتوفي في دير البلح في بداية التسعينات من القرن العشرين.

23ـ الحاج ناجي سليمان: من كبار حارة الغبون، ومن وجهاء الجية المعدودين المعروفين بالإصلاح وعمل الخير. توفي ودفن في الجية قبل النكبة.

24ـ الحاج عبد الغني سليمان: من كبار عائلة سليمان، ومن وجهاء حارة الغبون وقرية الجية. وقد كان صاحب كلمة مسموعة ورأي سديد. وارتبط بصداقة خاصة ومصاهرة قريبة مع المختار محمود خليل. ولم يدرك النكبة، وتوفي ودفن في الجية.

25ـ أحمد عبد القادر درويش: من كبار حارة الشناطوة، ومن وجهاء الجية المعروفين بالخير والإصلاح بين الناس. أدرك النكبة وتوفي في تسعينات القرن العشرين في خان يونس.

26ـ عبد الهادي الحاج درويش: من كبار حارة الشناطوة، ومن وجهاء الجية ورجال الإصلاح فيها. توفي ودفن في القرية قبل النكبة.

27ـ الحاج رزق سالم: من كبار حارة الشناطوة، ومن وجهاء الجية المعروفين بالخير والصلاح. وقد درك النكبة، وتوفي في التسعينات من القرن العشرين، في حي الصبرة بمدينة غزة.

28ـ نور إبراهيم سالم: من كبار حارة الشناطوة، ومن وجهاء الجية المعدودين. لم يدرك النكبة. وتوفي ودفن في الجية.

29ـ محمد عبد المجيد السحار: من كبار حارة الشناطوة، ومن وجهاء الجية المعدودين. أدرك النكبة وتوفي في الثمانينات من القرن العشرين، في حي الزيتون بمدينة غزة.

30ـ الحاج محمد السحار: من كبار حارة الشناطوة، ومن وجهاء الجية المعروفين بفعل الخير والإصلاح بين الناس. لم يدرك النكبة، وتوفي ودفن في الجية.

31ـ نعمان سويدان: من كبار حارة القطوي، ومن وجهاء الجية المعروفين. أدرك النكبة، وتوفي في التسعينات من القرن العشرين، بالقرارة في خان يونس.

32ـ حمدان سويدان (أبو كُعُد): من كبار حارة القطوي والجية ورجال الإصلاح فيها. أدرك النكبة، وتوفي في الثمانينات من القرن العشرين، بالقرارة في خان يونس.

33ـ محمود حسين: من وجهاء حارة الغبون، ومن رجال الجية المعدودين، وصاحب سيرة حسنة وكرم معروف. أدرك النكبة وتوفي في السنوات الأولى للهجرة، في حي الدرج، بمدينة غزة.

34ـ إبراهيم محمد أحمد سالم (أبو الروس): من وجهاء حارة الغبون، ومن رجال الجية المعروفين، وصاحب سيرة حسنة وكرم. أدرك النكبة، وتوفي في السنوات الأولى منها، في قرية (إذنا) من قضاء الخليل.

35ـ الحاج مصلح صيام: من وجهاء حارة الغبون، ومن رجال الجية المعروفين، وصاحب سيرة حسنة وكرم. أدرك النكبة وتوفي في السنوات الأولى للهجرة، في حي الزيتون بمدينة غزة[1].

[1]ـ من شهادات السادة: حلمي عابد، وإبراهيم حسين محجز، وأحمد سالم عوض (الدويري)، وخالد ناجي، وإسماعيل أبو عواد، ومحمد أحمد حليل محجز (سيبا).

الفصل الثالث
الحضارة

أثر التربة في اللهجة والعادات:

امتازت لهجة أهل الجية بظواهر صوتية ذات جرس معين، ناتج عن وراثة الجيايوة للهجات الأجداد العرب الفاتحين، الذين سكنوا هذه البلاد، وصبغوها بصبغتهم، وأعطوها لغتهم، وتدينت بدينهم: فكشكشة أسد وربيعة تظهر واضحة في لهجة الجيايوة، حيث يقلبون الكاف شيناً، أو ما يشبه النطق الانجليزي لحرفي (ch)، فيقولون: تشيف حالتش؟ بدلاً من: كيف حالك؟ شأنهم في ذلك شأن القرى الجبلية في الشمال. أما القاف في لهجة الجيايوة، فلها نطقان مختلفان، فهم يلفظونها أحياناً على طريقة الجيم المصرية، فيما يشبه النطق الإنجليزي للحرف (G)، فيقولون: (جال) بدلاً من (قال). وفي استعمالات أخرى تراهم يقلبون القاف كافاً، فيقولون مثلاً: (كَتَل) بدلاً من (قَتَل). وفي أحيان أخرى يقلبون الهمزة إلى واو، فيقولون: (وين) بدلاً من (أين). وربما زادوا حرف الشين على الكلمة عند إرادتهم نفيها، مع سبقها بميم، فيقولون: (ملعبتش) بدلاً من (لم ألعب). كما يبدل الجيايوة حرف

الضاد بالظاء، فيقولون: (ظربتني) بدلاً من (ضربتني).. وكل هذه الإبدالات والإقلابات لها أصل قريب في لغات العرب القدامى[1].

ولا شك أن اللغة ليست ابنة التاريخ فقط، فهي ابنة الجغرافيا أيضاً. ولأن تربة الجية طينية شديدة الصلابة، حتى إنها لتكاد تشبه الصخور في شدتها، خصوصاً خلال شهور الصيف، فلا شك لدينا أن هذه الغلظة في التربة قد أثرت في اللهجة، وطبعتها بطابعها: إذ ترى لهجة الجياوي تشبه غلظة لهجة جبلية نبتت بين الحجارة والصخور. ولا جرم، فالمستمع للجياوي القديم من الممكن أن يظنه من سكان الجبل فإضافة إلى ما سبق، نجد في الجية أن الكلمات مباشرة وقصيرة، وتفتقر إلى أي مد أو إمالة، من الذي يميز النطق الساحلي الرملي. فلهجة الجياوي قد تقترب من لهجة الطيماوي الجار الطيني الشرقي، ولكنها تختلف اختلافاً بيناً، عن لهجة النعلواني[2] الجار الرملي الغربي، الذي يمد أواخر الكلمات ويرققها، ويميل حرف الألف إمالة تقربه من الياء، ثم لا يقلب القاف إلى جيم مصرية، ولكنه ينطقها كافاً[3].

كما يتميز الجياوي بميله إلى المسالمة، المشفوعة بعناد موروث، وعاداته المحافظة المتصفة أحياناً بالإفراط. فكثيراً ما

---

[1]ـ انظر: المعجم الوسيط. مادة كشكش. وانظر: يسرى جوهرية عرنيطة. ص38 ـ 39

[2]ـ لهجة أهل نعليا، مثل لهجة أهل الجورة، تتميز بمدود في المقاطع الأخيرة من الكلمة، وإمالة لحرف الألف تقربه من الياء. كما أن القاف تنقلب عندهم إلى كاف. وهذا يكاد يميز لهجة القرى المطلة على الساحل، غربي الطريق. وكثيراً ما وصف أهل هذه القرى جيرانهم من شرقي الطريق بالفلاحين.

[3]ـ كثيراً ما تشبه أهل القرى الواقعة غربي الطريق بالمدن، ثم وصفوا جيرانهم الواقعين شرقي الطريق بالفلاحين.

يتحدث أهل القرى المجاورة عن كرم الجياوي وسخائه مضيفاً، ولكنهم سرعان ما يتندرون عليه ضيفاً، حين يصفونه بالإفراط في التهرب من كل محاولة لإكرامه، مؤكدين أنك تستطيع أن تمزق ملابس الجياوي ـ وهو يحاول التملص منك ـ كلما ألححت عليه في ضرورة أن يتناول الطعام عندك.

وإذا كانت العادات المحافظة من طبيعة مثل هذه التربة، فإننا لا نستطيع تفسير هذا التطرف في المحافظة، مقارنة مع قرى مجاورة، تلتقي مع الجية في طبيعة التربة وشدة تماسكها؛ إلا أن يكون ذلك راجعاً إلى أسباب تاريخية مغرقة في القدم.

أساطير الجية:

للقرى الفلسطينية أساطيرها، التي تشبه النوادر، وتحاول تفسير شيء من شخصية القرية، وتلقي ضوءاً على شيء من عاداتها. وكثيراً ما سمعنا هذه الأساطير، كما سمعنا عن غضب أهل القرية عندما يواجهون بأسطورتهم الخاصة، لاعتقادهم أن في ذلك سخرية بهم، وتصغيراً من شأنهم. ولكننا لا نعتقد ذلك، ونميل إلى ضرورة تسجيل هذه الأساطير، أو الخرارِيف، كجزء من تراث القرية الفلسطينية والسكان الذين استوطنوا هذه الأرض، طوال أحقاب؛ ضاربين عرض الحائط بكل ما يمكن أن ينتج عن ذلك من غضب، خصوصاً من أهل القرية التي يتم التعرض لأسطورتها الخاصة. فالبحث العلمي غايته الحقيقة، ويتعالى على تلك المماريات الصغيرة، التي كان يتعرض بها أهل كل قرية، للقرية أخرى، عندما يعيرونهم بأسطورتهم، فيعيرهم الآخرون بدورهم

بأسطورتهم المقابلة. ولولا خشية الإطالة، ثم لاقتصار هذا البحث على قرية الجية، لقمنا بتسجيل كل ما يتيسر لنا من هذه الخراريف.

أما أسطورة الجية فهي تتمثل في أن الجيايوة ذهبوا يوماً إلى البحر، للتنزه والتمتع. وكعادة القرويين في الاستفادة العملية من يوم المتعة، قام الجيايوة بحمل جزز[1] الصوف المتكاثرة معهم لغسله في البحر. ولكن الأمواج سحبتها معها إلى الأعالي. وتحير الجيايوة كيف يستعيدونها، وهم قوم لا علم لهم بالسباحة. وأخيراً تفتقت أذهانهم عن دعاء يستجلب هذه الجزز ويعيدها إلى الشاطئ. وبما أنها كانت في الأصل قد قطعت من ظهور أغنام لا زالت بحوزتهم، فقد افترض الجيايوة وجود أرواح في هذه الجزز، تسمع وتحن إلى أمهاتها الأغنام. فنادوها من على الشاطئ البعيد: "هرّ.. أمتش عندنا"[2].

وتؤكد الأسطورة أن الجزز قد استجابت للنداء، وعادت على اعتبار أنها لا تستطيع مفارقة أمهاتها على الشاطئ.

يسمع الجياوي هذه الأسطورة المنسوبة لأجداده على مضض، ولكنه يتخذها دليلاً على كون أجداده من أولياء الله الصالحين، مستجابي الدعاء، لصفاء قلوبهم، وصحة نواياهم، ويعير بها القرويون الآخرون أهل الجية، متناسين بدورهم أساطيرهم المضحكة.

---

[1]ـ مفردها جِزَّة: وهي قطعة الصوف قبل ندفها وتصنيعها. وسميت بذلك لأنها تجز من ظهور الأغنام.

[2]ـ "هرّ": حرف نداء لغير العاقل. و"أمتش": هي أمك باللهجة الجياوية. ومعنى النداء هو: تعالي، فأمك عندنا.

الملابس:

كان الرجل الجياوي يرتدي في العادة (الطقم) باعتباره الزي الشعبي الخاص بجنوب فلسطين: وهو عبارة عن قميص قطني فوقه (دماية) مصنوعة من قماش (الروزا) الحريري الخفيف الناعم، ذي اللون الأبيض أو السمني: والدماية رداء طويل الكمين ممتد حتى القدمين، ومفتوح من أعلى الصدر حتى القدمين، ويتم إغلاقه بإزارين من موضعين: الأول تحت الرقبة مباشرة، والثاني من الوسط. وفوق هذه الدماية (ساكو) أكثر سمكاً، مصنوع من نفس القماش وبنفس اللون. أما السروال فكان واسعاً مصنوعاً من القطن الأبيض.

ومن الجدير بالذكر أن الدماية لم تكن دائماً من الحرير؛ ففي أكثر الأحيان كانت تتم صناعتها من قماش قطني مقلم، أرخص ثمناً. وفي هذه الحالة لن يتم ارتداء ساكو فوقها، بل ربما اكتفي بها وحدها، أو ألقي فوقها العباءة.

وباستثناء المشايخ الأزهريين، الذين تميزوا باعتمار العمامة الأزهرية المعروفة، فقد كان الجياوي يعتمر بعمامة عريضة مختلفة من القماش الأبيض الناعم، الملفوف حول طاقية صوفية شتاءً، وقطنية صيفاً. هذا وقد أخذت العمامة الجياوية في التراجع، أمام

الكوفيـة والعقـال، مـع ثـورة عـام1936، إلـى أن كـادت تنقـرض، خصوصاً مع سنوات اللجوء، ولم يتبق منها إلا أقل القليل[1].

أما فـي المناسبات فقد كـان الـزي المفضـل للرجـال هـو (الكِبِـر والقُمْباز)[2]. والقمباز هو الدماية. أما الكِبِر فهو الساكو. غير أن كليهما ـ الكِبِر والقُمْباز ـ مصنوع من الصوف الفاخر، غالي الثمن، ذي الألوان الداكنـة، أو المائلـة إلـى السواد. وربمـا استعاض الرجل عن الكبـر بعبـاءة سوداء فـاخرة أحيانـاً، وربمـا ارتداها فوقـه أحيانـاً أخـرى. أمـا الحـزام، ففـي كـل الحـالات كـان هـو الحـزام العـريض المسـمى بــ(الكَمَر)، وكـان عرضــه حـوالي عشـرة سـنتيمترات، وهـو مصنوع من الصوف المنسوج[3].

وفـي أيام العمل، كان الجياوي يرتدي (الدرع) صيفاً: وهو رداء يشبه الجلابية، غير أنه قصير الطول لا يتعدى الركبتين، ومصنوع من قماش متين خاص، لتسهيل الحركة في العمل، وشديد التحمل للأوساخ والمشقة. أما في الشتـاء، فقد كان لباس العمل يتكون من عبـاءة صـوفية خاصـة فوق الـدرع، وربمـا كـان معها جاعد مصـنوع

[1]ـ من الجيـايوة الـذين رآهم الباحـث يعتمـرون هـذه العمامـة: خليل محمـد محجـز (شـلاطة)، محجز أحمد خليل محجز، الحاج محمود راضي، الحاج أحمد سالم عوض (الدويري)، ومحمد إبراهيم محجز.

[2]ـ من الطريف أن الكبر والقمباز المصنوعين من الصوف، كانا أغلى ثمناً من طقم الروزا المصنوع من الحرير؛ لأن الروزا كانت تُصنع في المجدل من خيوط الحرير المستوردة من الهند. وقد كـان الاحتلال البريطـاني يـوفر هذه الخيـوط للنسـاجين بـثمن رخيص، نظراً لأنها مستوردة من المستعمرات. بينما كان القماش الصوفي المتوفر لصناعة الكبر والقمباز إنجليزياً مستورداً من مصانع (يوركشير). وبعد الهجرة وارتفاع أسعار الحرير، صارت الروزا تصنع من خامات رخيصة.

[3]ـ من شهادة الحاج خلمي عابد. وقد رأى الباحث هذا الزي بنفسه.

من جلد الماعز أو الماشية، وذلك توقياً للبرد الذي يشتد في كانون[1].

أما المرأة، التي كانت تشارك الرجل العمل في الحقل، فقد كانت ترتدي، في العادة، الثوب المجدلاوي بأنواعه (جنة ونار ـ جلجلي ـ أبو ميتين ـ محير ـ بلتاجي). وكان هذا الثوب متميزاً ببساطته وقلة تطاريزه. وكانت المرأة الجياوية تدخر أثوابها القديمة للعمل في الحقل. أما في المناسبات والأعياد فقد كانت ترتدي الثوب الفلسطيني الأبيض الفاخر: ذلك الثوب المشهور إلى الآن، والمتميز بازدحامه بالتطاريز الحريرية الفاخرة. وهو أحد الثياب التي اشترتها في الأيام الخوالي، عندما كانت مخطوبة قبل الزفاف[2].

ومن أهم المناسبات لدى المرأة الجياوية أول زيارة إلى أهلها بعد الزواج، إذ يجب عليها ارتداء ثوب جديد من هذا النوع الفاخر، لهذا الطقس الهام المسمى بـ(الإفراد)، وتتمنطق بحزام هو عبارة عن منديل حريري أصفر اللون، أو بصلي، منقوش بوردات، بعد أن تطويه طيات متعددة. ثم تضع على رأسها أحد ثلاثة أنواع من الأغطية: الشاش البوال الأبيض المطرزة حواشيه، أو الحطة المصنوعة من قماش قطني أبيض بسيط، أو المنديل الحريري الذهبي اللون والمخطط بخطوط طولية، وهذا المنديل من الممكن له أن يطوى ثم يستخدم كحزام أيضاً[3]. أما كبيرات السن من النساء فقد كن يعتمرن على رؤوسهن (الشطوة) وفوقها المنديل.

---

[1]ـ من شهادة الحاج حلمي عابد.

[2]ـ من شهادة الحاج حلمي عابد.

[3]ـ من شهادة الحاج حلمي عابد.

والشطوة عبارة عن قبعة أسطوانية صلبة تغطى من الخارج بقماش أحمر أو أخضر، وتُصَفّ في مقدمتها الجنيهات الذهبية، فيما تُزين مؤخرتها بالريالات الفضية فحسب. وقد كانت هذه الشطوة تربط إلى الرأس بحزام يمرر من تحت الذقن، مزيناً بـ(محنكة) من الذهب (مجيدية). كما كانت تطرز بالحرير تطريزاً بديعاً، ولا يعتمرها إلا كبيرات السن من النساء[1].

أما الشابات المتزوجات فقد كن يلجأن أحياناً إلى اعتمار (الصَّفّة)، وهي تشبه الشطوة من حيث الشكل، إلا أنها مزينة من أمام بصف من الريالات الفضية (حوالي 50 قطعة) ومزينة عند رباط العنق بقطعة ذهبية من النقد تسمى (ذبلون) أو (مخماسية)[2].

الأفراح والمواسم والاحتفالات:

من الصعب الفصل بين الأفراح الشعبية، والمواسم والاحتفالات ذات الطابع الديني، في القرى الفلسطينية؛ ذلك لأن أكثر المواسم الدينية تتخللها احتفالات ذات طابع دنيوي، وأكثر الأفراح الشعبية تتخللها طقوس ذات طابع ديني في الأساس: فالموسم الديني، الذي أُقيم أساساً لزيارة الأولياء والدعاء، اختلط بالرقص والغناء والشعر والفرح؛ بل وحتى بالبحث عن عروس المستقبل، ومغازلة الجميلات.... إلخ. والاحتفالات الشعبية ـ كالزواج والختان ـ اختلطت بمراسم دينية من مثل رش الشعير والملح، والإكثار من

---

[1]ـ من شهادة الحاج حلمي عابد. وقد رأى الباحث هذه الشطوة بنفسه على رأس جدته.

[2]ـ من شهادة الحاج حلمي عابد. وانظر في ذلك: يسرى جوهرية عرنيطة. ص235

الصلاة على النبي، منعاً للحسد والأرواح الشريرة، إضافة إلى اعتبار الزواج إكمالاً لنصف الدين، واعتبار الختان عبادة دينية تصل حد كونها شرطاً لصحة الإسلام والقدرة على الذبح[1] في اعتقاد القرويين.

إضافة إلى ما سبق، يمكن القول بأن الاحتفال بالعيدين، الفطر والأضحى، هو في الأصل احتفال ديني يبدأ بالذكر والصلاة، وتتخلله مراسم الفرح الدنيوية. وقل مثل ذلك في المولد النبوي.

أما المناسبات الحزينة، كالمآتم وعاشوراء وخميس الأموات، فمن الواضح فيها اختلاط الديني بالدنيوي: فالموت، الذي هو مصيبة دنيوية، يحاط بالشعائر الدينية، عند الدفن وقبله وبعده، كما سنرى. وعاشوراء في أصله عيد ديني مرتبط باستشهاد الحسين والصيام، ولكن مظاهر الاحتفال الدنيوي تكون واضحة فيه. وخميس الأموات مرتبط بالموت ديناً ودنيا.

واحتفالات الجية مثل باقي الاحتفالات في فلسطين عموماً، وفي الجنوب منها على وجه الخصوص: فهي لا تختلف عن احتفالات بربرة ونعليا وبيت جرجا وبيت طيما والقرى المجاورة؛ حتى إنه ليمكن اعتبار ما نورده هنا، من أشكال الاحتفال وطقوسه، شكلاً عاماً لن يختلف، إلا قليلاً، من قرية إلى أخرى، كلما ابتعدنا جهة الشمال، لأن (طير شمال) لهم عادات مختلفة شيئاً ما، خصوصاً

[1]ـ ما زال القرويون، إلى الآن، يعتقدون أن الختان شرط لصحة العبادات والنسك، فحتى المرأة ـ التي يعتقدون خطأ بعدم صحة ذبيحتها ـ تستطيع أن تذبح إذا ما خُتنت. وتمشياً مع هذا الاعتقاد الزائف، فإنهم يمنعون الصبي أو الرجل البالغ من الذبح إذا لم يكن مختوناً.

إذا كانوا من أهل المدن. وسوف نعرض هنا لثمانية أنواع من الاحتفالات: الزواج والختان والمواسم والمولد النبوي والعيدين وخميس الأموات وعاشوراء، ثم المآتم، باعتبارها قريبة الصلة بالموضوع.

1ـ الزواج:

في العادة يبدأ الاستعداد للزواج مع انتهاء مواسم الحصاد، في فصل الصيف، حيث يستشير والد العريس ابنه في تزويجه من فلانة ابنة فلان، فيرد العريس بحسب التقاليد: "اللي تشوفه يا با". وفي الغالب يكون العريس قد رأى العروس المرشحة في الحصاد أو على البئر أو في الطريق. ونادراً جداً ما يرفض العريس رغبة أبيه.

بعد ذلك، يذهب الوالد مع بعض الأقارب لطلب يد العروس. وفي الغالب تتم الموافقة، ويتم تحديد المهر والاتفاق على التفاصيل، ومن ضمنها يوم السفر للحصول على موافقة المحكمة الشرعية بغزة. وفي اليوم المحدد، يقوم الشيخ حمدان بكتابة العقد، والإشهاد الشرعي وإكمال الخطوات الرسمية. وبعد العقد يزور العريس بيت العروس، بصحبة أمه، محملاً بالهدايا، دون أن يُسمح له برؤية العروس.

وقبل أن يتقرر الزفاف، تزور العروس وصاحباتها مدينة المجدل، لشراء ما يلزمها من جهاز العرس، ويقوم العريس بدفع ثمن كل ذلك. ومن أهم ما تجهز به نفسها العروس، في هذه الزيارة، أربعة أثواب أو خمسة، من قماش الحبر الفاخر (أبيض أو

سمني)، مع الحرير اللازم لتطريز هذه الأثواب الفاخرة، وسبع مقاطع من الأثواب المجدلاوية، وذلك تمهيداً لخياطتها قبل الزفاف، وعدة قطع من الأقمشة الحريرية لتفصيل بدلة الزفاف والملابس الداخلية، وبعض المناديل الحريرية الفاخرة[1].

وعندما يتقرر الزفاف، يجتمع الرجال والنساء والأطفال، للمشاركة في الفرح. وتستمر الأفراح طوال أربعة أيام أو خمسة، يتخللها السامر[2] والدبكة وزغاريد النساء.

وفي الدبكة خلال الرقص، كان القوال ينشد الأشعار والمواويل والدلعونا التي تشبب بالنساء، وتصف محاسن الحبيبة، وأحياناً تحتوي مواويله على الموازنة بين السمراء والبيضاء، أو الإشارة إلى سن الذهب في فم المحبوبة. ومن الأمثلة التي حُفظت قول أحدهم في معاتبة المحبوبة:

على دلعونا ليش دلعتيني كنّي حبيبك ليش ما خذتيني

وقول آخر متغزلاً في سن الذهب:

على دلعونا والدلع غالي أبو سن الذهب شغل لي بالي
أنا اشتريته بكل المصاري وهوه اشتراني بغمز العيونا

وقول آخر في إلقاء اللوم على أم المحبوبة:

---

[1] ـ من شهادة الحاج حلمي عابد.

[2] ـ السامر: عبارة عن شعر يؤدى بطريقة جماعية وبالتناوب، بين صفين متقابلين من السامرين

دبلة الخطبة ليش لبستيها   والعيشة الردية ليش قبلتيها
كله من أمك الله يجازيها   أعطتكي النذل عشتي مهيونا

وكان البداعون[1] الجيايوة كثراً، يرتجلون الأشعار والمواويل خلال حفلة السامر، ويرد بعضهم على بعض. ومما حُفظ من أشعارهم في المفاضلة بين السمراء والبيضاء:

يا طير الطاير يا طير الطاير   السمرا والبيضا صارن ضراير

وقولهم:

يا ميخذ السمرا وايش بدك فيها   يا رمل البحر دوبو يجليها[2]

وفي أحيان أخرى كان الهجاء يشتد ما بين البداعين في السامر، فيما يشبه نقائض الشعراء القدامى. وقد اشتهر من قوالي الجية: خليل عبد عوض (أبو فهمي)، ومحمود عبد الرحمن سويدان، وربيع عبد الواحد، وأحمد أبو عواد (الريفي)، وعبد الله حسين ربيع (عبد الله العوادية)، ومحمد ياسين أبو عواد (أبو ياسين).

ومن الجدير بالذكر هنا أن النقائض كثيراً ما اشتدت بين أشهر قوالين في الجية: أحمد أبو عواد، وخليل عبد عوض[3].

[1]ـ البداع هو القوال أو الشاعر الشعبي الذي يرتجل ما يقول.
[2]ـ من شهادة الحاجة حليمة ريان.
[3]ـ من شهادات السادة: أحمد سالم عوض، وحلمي عابد، وياسين محمد أبو عواد.

وكانت لابن العم الأولوية الدائمة، والحق المطلق، في الاستئثار بابنة عمه والتزوج بها، لأن "ابن العم بينزل بنت عمه عن الهودج"، ولا غرابة في ذلك، لأن "بنت العم حمالة الجفا، أما الغريبة بدها تدليل". وكان المجتمع الجياوي ـ مثل كل قرى فلسطين ـ يقر لابن العم بهذا الحق على ابنة عمه، باعتباره "عرق عينها" والموكل بحمايتها من ألسنة السوء، ثم غسلها من العار بالدم، إذا ما وقعت في الخطيئة؛ إلى درجة أن والدها لن يستطيع حمايتها منه في مثل هذه الحالة. فهو يعرف "أن ابن عمها ذباح رقبتها" حين اللزوم.

وفي حالة رفض الأب تزويج ابن أخيه من ابنته، فإن مجتمع قرى فلسطين كله لن ينكر عليه منعه الآخرين من التقدم لها. حتى أنه في مثل هذه الحالة يستطيع الذهاب إلى أبيها مهدداً باستخدام حقه هذا، ومنعها من الزواج من أي أحد آخر، "حتى لو بتجدل شعرها جدايل بيض".

وتعرف ابنة العم، بدورها، هذا الحق لابن عمها عليها، بل تعتز به في أغلب الأحيان، إلى درجة أنها قد تشعر بالبؤس الشديد، إذا ما تقدم لخطبتها شخص آخر ولم يمنعه ابن عمها. فإذا ما تزوجت خارج العائلة، فإنها ستوصف بأنها "راحت غريبة". وفي هذه الحالة تقوم إحدى الحاضرات بمواساتها بمثل هذه المهاهاه الحزينة:

غريبة غريبة غربوها رجالها

ما غربوها إلا كثر الدراهم

فترد عليه إحدى الحاضرات نيابة عن العروس المحزونة:

أهلي جفوني ولا لي عندهم عيشة
ما دللوني دلال العبد أبو ريشة

وعندما تبكي العروس من شدة التأثر، تنتدب إحداهن نفسها لتعيير ابن العم بقارح القول، ليشعر بالخسارة والغبن في تضييع مثل هذه العروس وهو الذي تسبب لها بكل هذا الحزن، فتهاهي:

يا ابن العم يا كومة كنايس بنات العم أخذوهن عرايس
يا ابن العم يا كومة ترايب بنات العم أخذوهن غرايب
يا ابن العم يا ريتك للضبوعة بنات العم أخذوهن السبوعة

ويبدأ العرس بليلة الحنة، عندما تخرج النسوة من أقارب العريس، من بيته، في اليوم الذي يسبق بناءه بالعروس، حاملات معهن السكر والليمون[1] والنعناع والريحان والحنة، لتحنية العروس وتزيينها وإتحاف الحاضرات. وخلال مسيرهن إلى بيت العروس، يغنين الأغاني ويهاهين ويزغردن. وهذا مثال على نوع المهاهاة التي تقال في مثل هذه الحال:

آإي.. يا جلجلي ع جلجلي آإي.. يا بنات الكرام بتنجلي
آإي.. والسيف حد جبينها آإي.. والدار منها توهجي[2]

[1]ـ السكر والليمون لعمل العقيدة لإزالة الشعر.

[2]ـ من شهادة الحاجة حليمة ريان.

أما عند أهل العريس فيبدأ العرس بالحمام والزفة، ويتم الإعداد لهما مبكراً، منذ شراء العريس لملابس عرسه؛ إذ يقوم أحد أصدقائه أو أقاربه بحجز الملابس لديه، ضماناً لتلبية العريس دعوته للاستحمام عنده. ثم يقوم صاحب العزومة بالتنبيه على الدبيكة والراقصين، المرغوب اشتراكهم في الزفة، منذ ذلك اليوم، وتجري الاستعدادات اللازمة، ومن ضمنها اختيار الحصان الذي سوف يزف عليه العريس. وفي يوم الدخلة، قبل بناء العريس بعروسه، منذ ساعات ما بعد الظهر، يحضرون العريس إلى بيت الحمام، فيحممه صديقه ويضمخه بالعطور، وتجري خلال هذه العملية طرائف متعددة، على قدر قوة العلاقة بين العريس وصديقه الداعي[1].

بعد الخروج من الحمام، يحمل الحاضرون العريس على حصان مزينة رقبته بمنديل حريري، وزينات متعددة، مبتدئين بذلك حفل الزفة والطواف في الشوارع، فيما يسمى (السيادة)، حيث يتحلق الرجال حول العريس يقودهم بداع يبدأ بالغناء ويرددون من ورائه:

يا سَيّادة	يا سَيّد
وانا باحبك	يا سَيّد
وانا ف دخلك	يا سَيّد

وعندما يرغبون في التوقف في شارع من الشوارع، يهتفون فجأة:

---

[1]ـ نمثل على بعض هذه الطرائف باختيار الداعي ليفة خشنة لسلخ جلد العريس، ويحاول العريس الهرب، ويبدأ في الصراخ. وفي أحيان أخرى يفاجئ الداعي العريس بالماء الساخن أو البارد. وقد يصل الأمر إلى العبث الماجن ومحاولة حلق عانة العريس. وفي كثير من الأحيان يتآمر على فعل ذلك جمع من الأصدقاء.

اربط عندك باب الشارع
والذهب ع الصدر دالع

وتزغرد النسوة من وراء الزفة. ويستمر البداع في الغناء والتنويع، والمرددون يرددون وراءه:

طلع الزين من الحمام
الله واسم الله عليه
ورشولي العطر عليه
وكل رجاله حواليه

فترش العطور، ويواصلون الترديد:

يا صلاتك يا محمد
يا خزاتك يا شيطان
طاحت الخيل تلعب
في ميدان العرسان
يا صلاتك يا محمد
يا خزاتك يا ابليس
طاحت الخيل تلعب
في ميدان العريس

ويدورون بالعريس في شوارع القرية، وكلما مروا من حارة أكرمهم أهلها برش الملح والأرز، حفظاً للعريس من عيون الحاسدين.

وعند توقف الزفة عند أحد الأبواب، يشتد الحماس بالبداع فيهتف، ويرددون من ورائه:

ع باب الدار	اذبحوني
كله كرمالك	يا عيوني
يا ويل اللي نحاربه	بالسيف نقطع شاربه
شموا ولموا	هالريحان
سلطة منه	هالريحان

ومن بداعي الجية الذين اشتهروا بالبراعة في قيادة (السيادة) خالد أبو شنب، ومحمود صالح أبو شنب.

وبعد انتهاء رحلة الطواف، تدخل الزفة المسجد، ويفرش العريس منديله على الأرض، في إشارة إلى افتتاح طقس (النقطة): وهو عبارة عن هدية نقدية يقدمها من يشاء من الحاضرين إلى العريس، كمساعدة ترد إليه في أول مناسبة فرح قادمة[1].

بعد ذلك يذهب كبار أهل العريس لإحضار العروس إلى بيتها الجديد ـ وليس من الضروري أن يكون العريس مرافقهم في ذلك ـ فيحملون العروس في الهودج على الجمل، ومن ورائها جهاز عرسها، الذي لا يتعدى صندوقاً خشبياً ملوناً بالتصاوير، تحمل بداخله ملابس العروس الخاصة، وأدوات زينتها البسيطة التي ربما لا تتعدى المرآة والمشط وأحمر الشفاه، وعلبة البودرة (الماكياج).

[1]ـ من شهادة السيد محمد أحمد خليل محجز (سيبا).

لكن الأمر الذي ظل ملاحظاً ومتكرراً، هو افتعال بعض أهل العروس الغضب ـ خصوصاً في حالة كون العريس غريباً ـ ومحاولتهم المفتعلة لمنع العروس من الخروج، بأعذار واهية، مهمتها إظهار مكانتها عند أهلها، حتى لا يظن أهل عريسها أنها "رخيصة على أهلها". وعندئذ يتدخل الوسطاء، ويتم دفع عض المال باسم (الطلعة). فإذا كان المعترض هو عم العروس، حيته النساء بمثل هذه المهاهاة:

آإي.. يا عروس طلعت تغني آإي.. من قصرها للغبَنّي
آإي.. قالت: يا فلان يا عمي آإي.. ع حسك بيزول همي

أما إذا كان المعترض خالها ـ كما هو الحال في الغالب ـ فتستقبله النسوة بالمهاهاة التالية:

آإي.. يا عروس طلعت تلالي آإي.. من قصرها للعلالي
آإي.. قالت: يا فلان يا خالي آإي.. ع حسك زادوا دلالي

وعند وصول العروس إلى بيتها الجديد، تترجل وتسلم على عنها الجديد (والد زوجها) وتقبل يده، ثم تسلم على عمتها (والدة زوجها)، فتستقبل بالمهاهاة التالية:

آإي.. ما خطبت لك يا شاطر آإي.. لا صفرا ولا منحولة
آإي.. إلا قمح مغربل آإي.. من إيدك للطاحونة

وقبل دخول العروس بيتها الجديد، تناولها أم العريس قطعة من العجين المخمر، لتلصقها على باب البيت، استجلاباً للبركة، ورغبة في أن تخمر هذه العروس في بيتها الجديد، وتنجب الصبيان.

وفي اليوم الثاني أو الثالث للزفاف، تحضر زوجة الداعي (صاحب الحمام) أو أمه أو أخته، باطية مفتول مجللة بلحم الضأن، كعشاء للعروسين. ويعتبر هذا الطعام طقساً هاماً ومتمماً للحمام، ولا يعتبر الداعي نفسه قد حمم العريس، إذا لم يقم بهذا الواجب. وكثيراً ما يحضر أحد المهنئين معه للفرح خروفاً من الضأن كهدية للعروسين تسمى (القَوَدْ) ويتم التعامل معها كدين يؤدى في أقرب مناسبة زواج[1].

وقد كان من أهم شعائر الفرح، في الجية، استقدام (صندوق العجب) الذي اشتراه "مسعد عوض" من يافا، ولم يكن على استعداد لتشغيله إلا إذا كان العريس صديقه، أو توسط أحد أصدقاء مسعد لديه لإتحاف العريس، أو إذا ما شدد أهل العريس عليه بضرورة الحضور والمشاركة، ورجوه في ذلك أشد الرجاء. وغني عن القول بأن صندوق العجب هذا ما كان سوى بكرة تدور، فتعرض على لوحة داخل الصندوق، رسومات بدائية لأبطال الملاحم الأسطوريين: عنترة والزير وجساس وأبي زيد وذياب. وكان على المشاهد أن يحدق إلى الشاشة الداخلية من وراء عدسة مكبرة، ويكون مسعد ـ المتقمص دور الشاعر الجوال ـ هو الذي يدير

---

[1]ـ من شهادة الحاج جلمي عابد، والسيد محمد أحمد خليل محجز (سيبا). وقد رأى الباحث مثل هذه الطقوس في المخيم في سنوات الستينات والسبعينات. وانظر كذلك: مصطفى مراد الدباغ. ص594ـ600

البكـرة، ويعـرض الصـور، ويشـدو بالألحـان والأشـعار المناسـبة لموضـوع الصـورة. ويفـرح الجيـايوة بـذلك أشـد مـن فـرحتهم بـالعرس نفسه[1].

وفي صباح اليوم التالي للزفاف ـ وهو يوم الصباحية ـ يبكر أهل العروس بالذهاب إلى بيت ابنتهم الجديد، حاملين الحلويات، يسبقهم خـروف يـذبح لهـم لتنـاول الغـداء مـع أهـل العـريس والحضـور. ثـم يتنـاولون الشـاي والحلويـات ويرتشـفون القهـوة السـادة، وخـلال ذلـك يدخل الأقارب ـ رجلاً ونساءً ـ على العروس فيهديها كل منهم هدية مالية تسمى "النقطة".

وتتعـالى خـلال ممارسـة هـذا الطقـس المهاهـاة والزغاريـد، وفـي كثير من الأحيان تنطلق من فم إحدى النساء مهاهاة خاصة لكل واحـد مـن الأقـارب، تعـين اسـمه، وتمتدحـه بالأفعـال الجميلـة والشجاعة. وهذا مثال:

آإي.. يا ابو فلان ويا برج عالي ما هزوك
آإي.. ويا ضرب الطوب والمدفع ما هزوك
آإي.. وسبع باشات والوالـي ما هزوك
آإي.. حتى المندوب ما تحسب له حسابِ[2]

---

[1]ـ من شهادة الحاج حلمي عابد، ومحمد محجز (سيبا). وقد رأى الباحث هذا الصندوق على أبواب مدارس المخيم في ستينات القرن العشرين وتفرج عليه مراراً بقطعة من الخبز.

[2]ـ إلياس وسليم سحاب. الموسيقى والغناء في فلسطين. الموسوعة الفلسطينية. القسم2. المجلد4. ص729

وبعد انتهاء مراسم الزفاف والصباحية، يبدأ أقارب العريس وجيرانه وأصدقاؤه بالوفود إلى البيت، مطالبين بـ"حقهم" في إكرام العروسين وإطعامهم. ويتم طقس العزومة هذا وفق إحدى طريقتين: إما أن يحضروا باطية المفتول ـ أو الثريد ـ المغطاة بلحوم الضأن، أو الطيور، إلى بيت العروسين؛ وهو ما يحدث غالباً. وإما أن يستضيفوهما وأهلهما ويستقبلوهم في بيوتهم وينحروا لهم الذبائح. وقد يمتد طقس العزومة هذا إلى شهر كامل بعد الزفاف.

2ـ الختان (الطهور):

الختان في الجية والقرى الفلسطينية، من أهم المراحل في عمر الفلسطيني المسلم، كالولادة والزواج. لذا فإنهم يمهدون له باحتفالات وأفراح تقارب احتفالات الزواج، فيرقصون ويغنون ويذبحون الذبائح. ومثلما يزفون العريس ويحممونه، فإنهم يزفون الطفل يوم ختانه ويحممونه ويستقبلونه بالزغاريد والمهاهاة التي تشبه في كل مراحلها مهاهاة الزفاف وزغاريده. حتى إنهم ليصمدون الطفل المراد ختانه على (اللوج) كالعريس[1]، وربما قلدته أمه قلادتها الذهبية وعقودها ثم رقصت من حوله مع الأخريات.

وبسبب من هذه التكاليف الباهظة للختان، فإن كثيراً من الجيايوة كانوا يلجأون إلى ختان أبنائهم جملة، بحيث يحدث أحياناً أن يؤدي هذا الانتظار إلى تأخر ختان الولد البكر إلى ما قبل زواجه بقليل. ومن المهاهاة المحفوظة في هذه المناسبة:

---

[1] ـ من شهادة السيد إبراهيم حسين محجز.

يا عين صلي على النبي والورد فتح للنبي

وهي تقال لرد أذى الشيطان ولطرد الأرواح الشريرة.

وقد يحضر الشاعر الشعبي ليلة الختان، ليغني على ربابته سيرة أبي زيد الهلالي. وعندما يحضر المطاهر ـ وهو الشخص المكلف بقطع قلفة الصبي ـ ترتفع الأغاني، ويحمل الطفل إلى غرفة الختان، وتشيعه أمه بالزغاريد الباكية. وتغني لها الحاضرات مشجعات:

طاهره يا مطاهر وناوله لأمه
يا دمعته هالغالية نزلت ع كمه
طاهره يا مطاهر تحت هالتينة
يا ميمته فرحانة وقلبها حزينِ[1]

ويتحلق الرجال من حول الصبي، ويحنون رؤوسهم حتى تكاد تتلامس، لمنع الأرواح الشريرة من الاقتراب. ثم يتولى أحدهم إلهاء الصبي عما يبيت له ملوحاً له بالدراهم، أو تطلق فتاة حمامة للفت انتباهه. وفي الخارج ترتفع وتيرة الزغاريد والمهاهاة لحظة صراخ الصبي، جراء العملية الصغيرة. وفي أغلب الأحيان يكون المطاهر هو حلاق القرية[2].

---

[1]ـ مما سمعه الباحث بنفسه.

[2]ـ انظر: فكتور سحاب. الحياة الشعبية في فلسطين. الموسوعة الفلسطينية. القسم2. المجلد4. ص590ـ591

وبعد إتمام العملية، يقدم الطعام ويكون في الغالب مكوناً من المفتول المغطى باللحم، ويوزع شراب التوت والحلويات البسيطة. وتدفن الأم القلفة حتى لا يأكلها كلب، "فيلحق الأذى بالصبي". وعند تبديل الضمادة في اليوم التالي، يغسلون الجرح بالشاي المر[1].

3ـ المواسم:

المواسم الدينية في فلسطين كثر، وتقام في أيام مختلفة موزعة على طول العام. ومن الطبيعي أن تكون مشاركة أهل القرية الفلسطينية أكثر وضوحاً في الموسم القريب مكانياً منها؛ فلا ريب أن مشاركة أهل الجية في موسم عسقلان، سوف يكون أكثر من الموسم المقام في القدس أو الرملة أو الخليل، وما ذاك إلا لقرب عسقلان من الجية، بخلاف كل من القدس والرملة والخليل، دع عنك مواسم منطقة الجليل والشمال.

المواسم القريبة من الجية ثلاثة هي: موسم أربعة أيوب، وموسم الحسين المقام في (وادي النمل): وهذان الموسمان يقامان في جورة عسقلان. ثم يلي ذلك موسم النبي صالح في الرملة.

فأما موسما أربعة أيوب والحسين فيقامان في وقت واحد، ولمدة يوم واحد كذلك، هو اليوم الذي يوافق أربعاء النبي موسى، أو أول يوم أربعاء يأتي بعد 14 نيسان (إبريل)[2]. الذي يسميه الفلسطينيون

---

[1]ـ من شهادة السيد ابراهيم حسين محجز.

[2]ـ انظر: الموجة القبطية. 2011/5/31. رابط:
http://copticwave.com/taks/holyweek1.htm

(شهر الخميس) ـ حيث تبدأ الاستعدادات منذ عصر يوم الثلاثاء الذي يسبقه. وينتهي الموسم واحتفالاته مع غروب شمس يوم الأربعاء[1].

ولبيان معنى (شهر الخميس) هذا يمكن القول بصورة مختصرة بأن التقويم الزراعي الفلسطيني يبدأ بشهر كانون الثاني (ديسمبر)، وعلى هذا فإن إبريل يكون الشهر الخامس، لا الرابع كما هو مقرر في التقويم الميلادي. كما أن هناك سبباً آخر لتسمية شهر أبريل بشهر الخميس، وهو تميزه بوقوع عدة مواسم فيه، كل منها يوافق يوم خميس، من مثل: خميس النبات، خميس الأموات، خميس البقرات، خميس المنطار[2].

يجتمع الناس في (أربعة أيوب) على ساحل البحر، في قرية الجورة، منذ ساعات ما بعد عصر يوم الثلاثاء الذي يسبق يوم الموسم، حاملين طعامهم وبيضهم الملون، ويغتسلون في البحر، ويحتفلون، ويشترون الحلاوة القرعية والكعكبان[3]، والحلويات المحلية الأخرى، ويقيمون حفلات الرقص والدبكة، ويتناقض الشعراء الشعبيون فيما بينهم. ويهرع الكثير من القرويين إلى التحديق في صور الأبطال الشعبيين، التي يديرها الشاعر أمام أعينهم المشدوهة، من وراء العدسة الزجاجية في "صندوق العجب"،

---

[1]ـ من شهادة السيدين إبراهيم حسين محجز والحاج حلمي عابد، اللذين لم يستطيعا تحديد التاريخ بدقة. إلا أن بعض الباحثين حدده بأنه يوافق أربعاء النبي موسى في أسبوع الآلام. انظر: فكتور سحاب. ص643

[2]ـ انظر: فكتور سحاب. ص649ـ650

[3]ـ الحلاوة القرعية هي حلوى مصنوعة من شرائح القرع الأصفر. أما الكعكبان فهو عيدان طولية ملونة ذات خطوط ومصنوع من السكر.

منشداً خلال ذلك أشعاره عن الأبطال والبطولة. ولا يخلو اليوم من إقامة حفلات "السامر" و"الدحّيَّة"[1]، وأهازيج الدراويش وراياتهم الملونة.

ومن أجمل ما كان يفتن الجيايوة في هذا الموسم حفلات المصارعة (التبّانة)، حيث يلتفون مع الناس حول الحلقة، ويتبارز المتبارزون من المصارعين القادمين من القرى والمدن المختلفة. ثم تنتهي حفلة المصارعة بالإعلان عن فائز تُقدم له هدية نقدية تُجمع من الحضور.

ومن الشعائر المهمة التي يؤديها الناس في موسم "أربعة أيوب" الاغتسال في البحر، طلباً للشفاء من الأمراض، مقتدين في ذلك بالنبي أيوب، الذي اغتسل في البحر، وشفي من أمراضه بإذن الله. فترى النساء يطلبن من صاحب الموسم أن يشفع لهن عند الله، وأن يمن عليهن الله بالحمل بفضل هذه الشفاعة، خصوصاً عندما يتم ذلك بعد طول صبر وانتظار.

هذا وقد اختلط موسم الحسين بموسم النبي أيوب، واشتبكا احتفالياً، لأنهما يقامان في وقت واحد وفي مكانين متقاربين من نفس القرية ـ ويطلق الناس على المكان تسمية (مشهد وادي النمل)، بسبب مما شهده من كثرة القتلى وزخم المعارك، بين جيوش السلطان المجاهد صلاح الدين والصليبيين، وكثرة القتلى

---

[1] ـ الدِّحِّيّة: رقص مع غناء شعبي خاص بالبدو يشبه السامر لدى القرويين، مع اختلاف بسيط.

من الطرفين[1]ـ مع العلم بوجود مقامين مختلفين أحدهما للنبي أيوب عليه السلام، والآخر للحسين عليه السلام، الذي تقول بعض المصادر أن رأسه مدفون فيه[2]. فيزور المحتفلون المقامين ويتبركون بصاحبيهما، ويطلبون الشفاعة وقضاء الحاجات، ويسبغون على كل مقام منهما كسوة خضراء من القماش الفاخر.

ومن مآثر أهل الجورة، التي يشكرهم عليها القرويون أهل القرى، حرصهم الدائم على الاستعداد المبكر لهذا الموسم، بإعداد الطعام لكل المحتفلين، طوال يومي الموسم، فيما يشبه مأثرة "الرفادة" التي يتمتع بها الهاشميون في مكة[3].

ومع غروب شمس يوم الأربعاء، يرتحل الباعة والدراويش وأصحاب البسطات إلى غزة، للبدء في احتفالات "خميس المنطار" التي تبدأ في اليوم التالي، شرقي غزة في أراضي محلة الشجاعية.

ويحدث في موسم النبي صالح في الرملة مثلما يحدث في الموسمين المذكورين، باستثناء الاغتسال في البحر.

4ـ المولد النبوي:

رغم ما هو معروف من أن مناسبة ميلاد النبي ﷺ توافق اليوم الثاني عشر من ربيع أول من كل عام هجري، إلا أن الاحتفال بالمولد النبوي في الجية، والقرى المجاورة، لا يتحدد بتاريخ معين؛

---

[1]ـ انظر: عبد الغني النابلسي. الحقيقة والمجاز. ص151

[2]ـ انظر: فكتور سحاب. ص622

[3]ـ من شهادة شفهية للحاج حلمي عابد.

إذ كثيراً ما يقام في شهر رمضان، ويكون في بيت من بيوت القرية. وربما يقام الاحتفال بالمولد النبوي وفاءً بنذر أو شكراً على نعمة طارئة، أو يتم إقامة احتفال المولد النبوي لمجرد انتهاز الفرصة للتجمع وإطعام الفقراء، وتلاوة سيرة النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وطلب شفاعته.

يبدأ الاحتفال عادة بعد صلاة التراويح، إذ يحضر الشيخ حمدان ومعه عدد من المقرئين. وبعد تناول الحلويات، يبدأون بإنشاد السيرة النبوية على شكل غناء مليء بالشجن، يؤديه الشيخ حمدان، ويردد من ورائه (كورس) المقرئين. وقد يمتد هذا الإنشاد إلى ساعات ما قبل الفجر. ومن الأبيات المحفوظة في هذه المناسبة قول المنشد:

يا آمنة بشراكي سبحان من أعطاكي
بحملك بمحمدٍ رب السما هناكي

وبعد تمام الإنشاد، يتم تقديم الطعام للحاضرين، وتوزيعه على البيوت المجاورة والفقراء[1].

5ـ العيدان:

الاحتفال بعيد الأضحى، كالاحتفال بعيد الفطر، يبدأ بالصلاة في المسجد والتكبير، مع اختلاف يسير في البداية، يتمثل في استحباب الإفطار قبل صلاة عيد الفطر، وتأخيره إلى ما بعد

[1] ـ من شهادة الحاج حلمي عابد، والسيد إبراهيم حسين محجز.

الصلاة وذبح الأضحية في عيد الأضحى، وذلك لضمان تناول شيء من المعلاق: وهو الاسم الشعبي لمجموعة الكبد والقلب والكليتين والرئتين.

بعد ذلك يبدأ الجياوي بزوجته وأولاده، فيتحف كلاً منهم بهدية نقدية تسمى (العيدية). ويكون كل واحد منهم قد ارتدى أفضل ما لديه من الملابس. ثم يتوجه الجياوي إلى جيرانه الأقربين مهنئاً ومباركاً وموزعاً للهدايا النقدية البسيطة على الأطفال. وفي طريقه يصافح كل من يراه مهنئاً بقدوم العيد. ثم يتوجه إلى بيوت بناته وأخواته المتزوجات، ولا بد عندئذ من تقديم العيديات لكل واحدة منهن، مع جزء من الأضحية، إن كان ثمة أضحية، ولا بأس في تناول القليل من الحلويات في هذه البيوت. ثم يعود إلى البيت.

ويسمي الجيايوة وأهل القرى، يوم عيد الفطر باسم (العيد الصغير)، أما عيد الأضحى فهو (العيد الكبير). وربما كان هذا الفروق في التسمية راجع إلى الأصل الديني المقرر أن مدة عيد الأضحى هي أربعة أيام، تبدأ من يوم النحر (اليوم الأول) وتنتهي بانتهاء أيام التشريق الثلاثة التي تتلوه، والتي قرر الشارع الحكيم أنها أيام طعام ولهو وبعال، يمنع فيها الصيام، في حين أن عيد الفطر يقتصر على اليوم الأول ويسمح من ثم بصيام الأيام التي تليه، بل يستحب.

وقد كان الشيخ حمدان عابد هو الذي يتولى إمامة الناس في صلاة العيد، ويقيمها في مسجد القرية، ويخطب في المصلين حاثاً

إياهم على الطاعة والصدقة وصلة الرحم، الذي يكاد يكون يوم العيد كله مكرساً لوصلها[1].

6ـ خميس الأموات:

موسم خميس الأموات يوافق يوم الخميس، بعد ثمانية أيام من أربعة أيوب. وهو يوم مخصص لزيارة المقابر، والترحم على الأموات، وقراءة القرآن على أرواحهم. وتقوم النسوة في هذا اليوم بإعداد الفطائر المحلاة بالسكر والملونة بالعصفر، ويسميها الجيايوة (مسفَّن) لتوزيعها على المساكين وزوار المقابر، كصدقة عن روح الميت. وأحياناً يوزعون التمر والتين المجفف (القطين).

7ـ عاشوراء:

هو يوم شكر للإله على نعمة الأمن. وأصله أن الله، في مثل هذا اليوم، كان قد نجى عباده المؤمنين مع سيدنا موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من بطش فرعون واستعباده، فاحتفل المنتسبون إليه بهذه المناسبة. ولما جاء الإسلام وانحرف بنو إسرائيل عن دين موسى، أحيا الإسلام هذه المناسبة، واعتبر رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ المسلمين أولى بهذه المناسبة من اليهود. وقد اقترنت هذه المناسبة في الإسلام بالصيام شكراً لله واعترافاً بفضله.

---

[1] ـ من شهادة الحاج حلمي عابد.

وفي العصر الأموي، حدث في مناسبة يوم عاشوراء حدث مأساوي ألقى بظلاله القاتمة على تاريخ المسلمين وعقائدهم؛ إذ قامت الفئة الباغية من سلاطين الجور والضلال من بني أمية بقتل سيدنا الحسين بن علي، ابن بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وابن رابع الخلفاء الراشدين: علي بن أبي طالب عليه السلام. وكانت هذه المأساة مدعاة لنواح مطول، وشجى مفجع، رددته الفئات الشعبية المتعاطفة مع الحسين ـ عليه السلام ـ والمعادية في دخيلتها للحكام الأمويين فتلة ابن بنت رسول الله، وصارت تضرب بهذه المظلمة الأمثال، فتقول: "انظلم ظلم الحسن والحسين".

وفي الجية والقرى كان الناس يحيون هذه المناسبة بذبح الذبائح وإطعام الفقراء والجيران. وعلى العموم فقد كانت هذه المناسبة تمر على البيت الجياوي بما يشبه العيد[1].

8ـ المآتم:

الموت هو مصيبة المصائب عند كل الشعوب، لذا فإن الناس ـ خصوصاً القرويين ـ يسارعون إلى التكافل والتعاون فيما بينهم، عند وقوع هذا المصاب لدى بيت من بيوتهم.

في الجية، كما في كل القرى الفلسطينية، من المعلوم أنه لا يمكن أن يقام فرح، أو تظهر علاماته، طوال فترى الحداد، وهي في الغالب أربعون يوماً، يستطيع بعدها الجياوي أن يحدث فرحاً،

---

[1]ـ من شهادة الحاج حلمي عابد. ويضيف الحاج حلمي بأن الاحتفال بعاشوراء في الجية كاد أن يكون فرضاً.

بعد الاستئذان من أهل الميت بالطبع. وفي الغالب يخلو مثل هذا الفرح من الزغاريد والمهاهاة والمظاهر الصاخبة.

وعند احتضار الميت، يبدأ الأقارب والجيران بالوفود إلى البيت، في محاولة لمواساة الأهل وتثبيت المحتضر.

فور ظهور خبر الوفاة، يتسارع الناس إلى المقبرة، للمشاركة في دفن المتوفى. وبعد أن يتم الشيخ حمدان غسل الميت والصلاة عليه، يُحمل إلى المقبرة.

بعد إتمام الدفن، يجلس الشيخ حمدان عند رأس الميت، مبتدئا طقوس التلقين، معلماً الميت كيفية مواجهة الملكين، والرد على أسئلتهما. ثم يدعو له بالرحمة، ويستشهد الحاضرين على خيرية الميت، ويؤمن الحاضرون. ثم يقف أهل أقارب الميت صفاً واحداً، ويبدأ الحضور بمصافحتهم فرداً فرداً قائلين: (يسلم خاطرك)، فيردون: (يسلم دينك وإيمانك). ثم يعزم عليهم أحد الحاضرين بضرورة الذهاب معه إلى البيت وتناول طعام الغداء. وكثيراً ما يتخلل هذه العزومة أيمان غلاظ لضمان موافقة أهل الميت على هذه الضيافة.

بعد الضيافة يتم فتح بيت العزاء، ويكون في الغالب في بيت المتوفى؛ فإن لم يتسع، ففي مضافة العائلة، أو أي بيت من بيوت الأقارب المقربين الواسعة. حيث تصب القهوة السادة، ويدار بها بين الفينة والأخرى على الحضور. وكلما غادر أحد المعزين

المكان فإنه يصافح أهل المتوفى قائلاً: "ما حدا يجيكوا في مكروه" فيردون: "ولا تراه".

وغني عن القول بأن كبار السن في القرية لا يغادرون البرزة (بيت العزاء) طوال أيام العزاء الثلاثة، وأن الشباب من الأقارب هم الذين يقومون، طوال الوقت، بتقديم الخدمة للحاضرين، باستثناء (بكرج القهوة) وعملية إعدادها، لأن الموكول بذلك يجب أن يكون من كبار السن الوجهاء. ويتكفل الجيران بتقديم الطعام لأهل الميت والحاضرين، طوال أيام العزاء الثلاثة[1].

أما عند النساء، في الركن المخصص لهن، فإنهن يبدأن بالوفود، متشحات بالسواد، من لحظة مبكرة، كثيراً ما تكون هي ساعة الاحتضار. وفور "طلوع السر الإلهي"، يبدأن بالنواح والبكاء وإنشاد الأناشيد الحزينة (التعديد على الميت). وكثيراً ما كن يتعرضن لانتهار كل من الشيخ حمدان والشيخ أحمد، في محاولة لمنعهن من النواح الحرام، كما كانا يمنعانهن من الخروج إلى المقبرة. أما في حالة كون المتوفاة امرأة، فإنهن يقمن بانتداب أقربهن إلى المتوفاة لتغسيلها، إذا لم تكن هناك امرأة متخصصة لمثل هذه المهمة.

في صباح اليوم التالي للوفاة، تبكر النسوة بالذهاب إلى قبر المتوفى، ليواسينه بالبكاء والدعاء والتحية والترحم على روحه، فيما يُسمى "فكة الوحدة" وكأنه يشعر في تلك اللحظة بأنه لم يعد وحيداً

---

[1]ـ هذه العادة لها أصل ديني: فقد قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمسلمين، عند وفاة جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه: "اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد جاءهم ما يشغلهم".

فـي مسـتقره الجديـد. وقبـل المغـادرة، يقمـن بتوزيـع القطـين (التـين المجفـف) أو التمـر أو الفطـائر المحـلاة بالقرفـة، علـى روحـه. وبانتهاء اليوم الثالث تنتهي أيام العزاء الرسمية.

ومما يجدر ذكره هنا أن أهل الجية كانوا كثيراً ما ينذرون النذور لله تعـالى، عنـد طلـبهم الحاجـات، أو شـفائهم مـن الأمـراض. وفـي الأغلب يكون هذا النذر عبارة عن "طبخة جريشة"[1] مجللة بلحوم الذبائح، تقدم للفقراء.

المهن والتجارة:

كانـت التجـارة فـي الجِيَّـة بسـيطة ومحـدودة؛ وتعتمـد علـى المقايضـة، وقد بدأ استخدام النقود في السنوات القليلة التي سبقت النكبة. وقد تمثلت ثروة الجية وتركزت ـ بعد الأرض ـ في الأغنام والأبقار، التي كانت موجودة بكثرة لافتة[2].

وكان في الجِيَّة ثلاثة جزارين يتم التعامل معهم بالنقود، و هم: شـحادة حسـن شـحادة الأخـرس، وحسـن الحـاج محمـود سـلامة، و أحمد حسين ابراهيم[3].

كمـا وجـدت أربعـة محـلات بسـيطة للبقالـة: واحـدة يملكهـا العبـد شكير، والثانية يملكها أحمد أبو شنب، والثالثة يملكها محمد خليل أبو عواد (الحاشي)، والرابعة حديثة نسبياً يملكها أبو أحمد عوض.

---

[1]ـ عصيدة مصنوعة من القمح المجروش والبندورة، مطبوخة في مرق اللحم.

[2]ـ من شهادة الحاج حلمي عابد.

[3]ـ من شهادة الحاج: خالد ناجي، وإبراهيم حسين محجز.

وفي كثير من الأحيان كان التعامل مع هذه البقالات يتم نظير كمية من القمح[1].

أما حلاق القرية فكان هو محمود صالح، الذي يتقاضى أجرته السنوية كمية من القمح، في موسم الحصاد[2].

ورغم أن البناء في الجِيَّة كان بسيطاً وبدائياً ويستطيعه كل أحد تقريباً، إلا أن هناك أشخاصاً عرفوا بممارسة هذه المهنة، مثل إبراهيم بن الشيخ حمدان[3].

هذا وقد وُجد في القرية سيارة شحن يملكها السيد حسن طه، من الشناطوة. أما السائق فكان الحاج حسن ياسين حلوة، من حارة الغبون[4].

وفي كل عام، قبل تركيب آلات الشفط الحديثة، كان يقوم شخص من أهل القرية بضمان خدمة بئر البلد، وذلك بسحب المياه بطريقة بدائية، تعتمد على الجمال والدواب المتوفرة، فيسقي الناس والدواب، طوال العام، ثم يتقاضى أجرته قمحاً ـ في موسم الحصاد ـ من كل عائلة، على قدر استهلاكها. ومن الأشخاص الذين تولوا هذه المهمة، وما زالت أسماؤهم محفوظة إلى الآن: حسن صالح

---

[1]ـ من شهادات: الحاج خالد ناجي سليمان، و الأستاذ إسماعيل ياسين أبو عواد، والسيدة صبحة حسن ياسين.

[2]ـ من شهادات: الحاج خالد ناجي سليمان، والسيدة سرية الأخرس، والسيد إبراهيم حسين محجز.

[3]ـ من شهادة السيدة سرية الأخرس.

[4]ـ من شهادة الأستاذ: إسماعيل ياسين أبو عواد، والسيدة: صبحة حسن ياسين.

محجز، وياسين طه، وعبد القادر طه، وعبد الله حماد الملقب بـ"دحبور".

ولاشتهار الجِيَّة بالأغنام والأبقار فقد استخرج الجيايوة من حليبها أنواعاً مميزة من الأجبان والألبان، كثيراً ما كانت نساء الجِيَّة يذهبن بها إلى سوق المجدل، لبيعه هناك ـ إضافة إلى الدواجن والخضروات ـ ثم شراء الملابس والاحتياجات البسيطة[1]. وربما سافر الرجال أحياناً إلى قضاء نابلس، لشراء زيت الزيتون: بصفته الزيت الوحيد المستخدم للطعام في فلسطين، والتين المجفف: كحلوى يغرم الفلاح الجياوي بالتهامها مع زيت الزيتون، خصوصاً في الشتاء[2].

التعليم:

قلنا إنه كان في الجِيَّة، قبل النكبة، عدد من الشيوخ الأزهريين الذين سافروا إلى مصر، وجاوروا في الأزهر، وتلقوا العلم فيه، وحصلوا منه على شهادات (العالِمية) ومارسوا مهنة التعليم في القرية، إما في بيوتهم أو في مسجد القرية، وتخرج عليهم عدد من المتعلمين.

ورغم أنه لم يوجد في الجية، حتى عام النكبة، مدرسة، إلا أن عدداً من التلاميذ كان يسافر يومياً لتلقي العلم في (مدرسة بربرة) القريبة. وقد جمع أهل الجية قبيل النكبة أموالاً لبناء مدرسة في

---

[1]ـ انظر: عبد القادر حماد. نفس الصفحة.

[2]ـ من شهادة المرحوم: عطية خضر محجز.

قريتهم، لكن أحداث النكبة حالت دون إنجاز هذا المشروع[1]. ورغم ذلك فقد بلغ عدد المتعلمين قبل النكبة ثلاثين شخصاً، يحسنون القراءة والكتابة[2].

المأكولات:

مثل أهل القرى المجاورة، كان الجياوي يأكل من زرع أرضه، بحيث يمكن القول إن قرية الجِيَّة كانت مكتفية ذاتياً، مع بعض المقايضات التجارية البسيطة، التي ربما تكون في أغلبها تبادلية (سلعة مقابل سلعة).

ومثل كل قرى فلسطين كذلك، كان الخبز للجياوي هو الطعام الأساسي الذي يعتبره نعمة لا يجوز الاستهانة بها، أو التقليل من قدرها، لأن هذه النعمة تتعرض للزوال و"الرفع" في حالة عدم صيانتها.

ويروي الجياوي قصة الرجل الذي كثرت نعمته، فتصدق كثيراً، رغبة في تقليلها، وخوفاً من عدم قدرته على أداء شكرها. ولكنها استمرت في الازدياد، حتى اضطر الرجل إلى التوجه إلى الله بالصلاة أن يرفع شيئاً من هذه النعمة، ويعطيها لغيره. فأرسل الله ملكاً يوصيه بتناول طعامه خلال مشيه. فما كان من الرجل إلا أن صنع لنفسه مخلاة، وعلقها في رقبته، لكي يسقط فتات الخبز فيها، فلا يقع على الأرض ويهون. ثم أخذ يتناول ما يسقط بداخل

---

[1]ـ انظر: عبد القادر حماد. نفس الصفحة.

[2]ـ مصطفى مراد الدباغ. ص: 254

المخلاة من الفتات ويلتهمه، ثم يحمد الله على نعمة الخبز. وإذاك نزل إليه الملاك من السماء مخاطباً: كيف يمكن أن يرفع الله عنك هذه النعمة وأنت تؤدي شكرها بهذا الشكل!.

لا شك أن هذه الحكاية تشير إلى مدى احتفاء الفلسطيني بنعمة الخبز، ذلك الاحتفاء الذي قد يبلغ، في بعض تجلياته، مبلغ التقديس، إلى درجة أن يعمد الواحد منهم، إذا ما رأى قطعة خبز على الأرض، إلى حملها وتقبيلها ثم وضعها على رأسه بخشوع، قبل أن يضعها فوق سور أو جدار أو سطح، أو يحملها إلى جانب الطريق، ليأكلها الطير، ولا تتعرض للدوس بالأقدام.

هذا وقد بلغت درجة تقديس الخبز أن صار الفلاح يقسم به: إذ كثيراً ما تسمعه يقول: "وحياة هالنعمة". ويقرن الخبز بالحياة، لأنه سبب بقائها، فيسميه "العيش". ويحلف به كحياة قائمة بذاتها، فيقول: "وحياة هالعيش". ويحمد الله بعد الطعام ويقول: "يا رب تديمها نعمة وتحفظها من الزوال". ويجعل مشاركة الآخرين له في أكل الخبز علامة الأمان، لأنه قد أصبح بينه وبينهم "عيش وملح". ولا يخفر ذمام الخبز إلا خؤون، لأنه " ما بيخونش العيش إلا ابن الحرام".

وقد ظل الفلاح الجياوي مهتماً بمؤونة العام، ويخزن القمح والشعير والذرة، لتأمين الخبز الذي كان في أغلبه مصنوعاً من طحين الذرة الشامية. وكانوا يسمون خبزها "كراديش".

ورغم كل ما سبق، من شكر الجياوي للنعمة، إلا أنه كان يكره كراديش الذرة هذه، ويتناولها على مضض ـ وربما كان يستثنيها من وصف النعمة ـ ويصب اللعنات عليها أحياناً، لأنها تجف بسرعة، وتتخشب فور تعرضها للهواء. فهي ليست لذيذة إلا حال خروجها من الفرن. وربما كان هذا التأفف راجعاً إلى المقارنة الدائمة بين القمح والذرة. فالقمح مثل أرض الطين "له عرق"، ويمتد في الأيدي خلال عجنه، ويلين، بخلاف الذرة التي تتفتت عند عجنها وعند تناولها، على السواء، فهي مثل الرمل "ما لوش عرق"، حتى إنهم ليعيرون الولد غير النابه بأنه "ما لوش عرق زي خبز الذرة" أي أنه لا امتداد له، كما لو كان مقطوعاً عن الخير والأصل الحسن. لذا فقد ظل القمح هو المفضل، ويعتبره الميسورون العنصر الأساسي للخبز، خلافاً للذرة.

ومع كل ذلك، فقد ظل الجياوي مضطراً لزراعة الذرة الشامية، نظراً لأن زراعتها تريح الأرض من عناء المواسم الماضية، وتؤهلها لخصوبة موسم قادم يزرع فيه القمح. وقد كانوا يسمون هذه التبادلية "كْراب". إضافة إلى كون الذرة تدر محصولاً أوفر، فهي "أبرك" بلغتهم، وأكثر تحملاً لمواسم الجفاف[1].

ولكن كراديش الذرة وطحين القمح لم يكونا العنصرين الوحيدين لصناعة الخبز في الجية، إذ كثيراً ما كانوا يستخدمون الشعير، بعد تنخيله سبع مرات.

---

[1]ـ من شهادات المرحومين: حلمي عابد، وإبراهيم حسين محجز، وعطية خضر محجز.

وكانت الجياويات يخبزن خبزهن في الطابون، إذ كانت الواحدة منهن تقيم طابونها في فناء بيتها، وتصنعه على دفعات، على قاعدة دائرية من الطين قطرها متر تقريباً، بجدران تبدأ في الصعود على هيئة صومعة تنتهي بفتحة علوية لها غطاء يدوي من الطين متصل بيد طولها حوالي ثلاثين سنتيمتراً. ويتم إيقاد النار حول هذا الطابون، بصورة دائمة، بالحطب والتبن والقصل وأقراص الجلّة المصنوعة من روث البقر المجفف الصالح لاشتعال طويل المدى. وعندما يراد استخدام الطابون، تترك النار حتى تخبو ويزول لهيبها ـ دون أن تنطفئ ـ ثم تضع المرأة في قاع الطابون قطع الفخار، وتلقي فوقه أقراص العجين، ثم تغطي فتحة الطابون، تاركة العجين حتى ينضج. ثم تستخرج الأرغفة، لتلقي غيرها. وكثيراً ما كانت النساء يستخدمن الطابون كذلك للطبخ، وإعداد المأكولات المختلفة. وفي البيوتات الصغيرة المتجاورة، كانت النسوة كثيراً ما يشتركن في الطابون الواحد، توفيراً للوقود ومشقة الإعداد الدائم[1].

أما طعام الجياوي فكان بسيطاً مما تخرج الأرض، ولا يتعدى البقوليات والخضروات المجففة والطازجة واللحوم أحياناً، والدواجن المنتشرة وسط القرية، والبيض والألبان والجبن المتوفر بفعل البقر المتكاثر في الجِيَّة ... والخلاصة أنه يمكن القول بأن الطعام كان بسيطاً وأولياً وبعيداً عن تعقيدات الحضارة والرفاه.

أما المشروبات، في العهد العثماني، فلم تكن أكثر من القهوة السادة، والأعشاب المغلية كالبابونج والحلبة. وبعد الاحتلال

---

[1]ـ من شهادة الحاج حلمي عابد والحاجة آمنة خضر محجز. وانظر: يسرى جوهرية عرنيطة. ص247.

البريطاني عرفت قرى جنوب فلسطين قوالب السكر، وصار الناس يحلون القهوة[1] ويشربون الشاي، ويدخنون التبغ المحلي (الدخان العربي أو التتن)، وهو عبارة عن لفائف يصنعونها بأيديهم، ويكرمون بها بعضهم البعض. وكان الفلاح يحمل علبة تبغه الحديدية، ويفتخر بمعرفته أنواع التبغ الجيدة، وكثيراً ما كان يصر على الحاضرين بضرورة تجريب هذا النوع المميز الذي يتعاطاه، فيشهدون له بدقة الاختيار، ورقي "الكيف".

وقد ظلت القهوة مشروباً يعتز به الفلاح الفلسطيني، ويعقد لتناوله الجلسات الخاصة، حيث يبدأ صاحب البيت بصب القهوة للضيوف، مبتدئاً بأكبرهم سناً، ثم يتجه نحو اليمين، "حتى لو كان أبو زيد على شماله". ومن طقوس هذه الجلسات أن يجلس الراغب في ارتشاف القهوة على إليتيه متربعاً، مقتعداً الأرض، قبل أن يتم تقديم القهوة له[2].

وقد كانت نساء الجِيَّة يشاركن الرجال في العمل في الحقول والموارس، خصوصاً خلال مواسم الحصاد، كما كن يقمن في فصول الصيف بتجفيف البندورة المملحة فوق أسطح البيوت؛ تمهيداً لاستخدامها في فصل الشتاء. كذلك كان يتم تجفيف البامية والملوخية[3].

---

[1]ـ من شهادة المرحومين: عطية خضر محجز، وشحادة حسن شحادة الأخرس الذي وصف القهوة المحلاة بـ"الإستنبولية".

[2]ـ انظر في ذلك: الموسوعة الفلسطينية. القسم الثاني. ص672

[3]ـ من شهادة الحاجة: آمنة خضر محجز.

الفصل الرابع
الصراع

معارك الجِبَّة:

مع اتضاح خيوط المؤامرة على فلسطين، وظهور نية البريطانيين تسليم البلاد للمستوطنين اليهود، وإعلان زعيم فلسطين سماحة المفتي الحاج أمين الحسيني الثورة على البريطانيين عام1936، زار القائد عبد القادر الحسيني قرية الجية، ضمن ما زار من القرى، واجتمع مع الشيخ حمدان عابد وباقي الشيوخ ووجهاء القرية، داعياً إياهم إلى تحريض المواطنين على الثورة. وبالفعل سارع الجيايوة إلى الاشتراك في الثورة. وقد تمثل ذلك في مهاجمتهم المستمرة للجنود البريطانيين، والاشتراك في مجموعات الكفاح المسلح، التي اتخذت من المجدل قاعدة لها، تحت قيادة المرحوم عمران شقورة. كما شاركوا أهل القرى المجاورة في اقتلاع خطوط السكة الحديدية، بغية منع الإمدادات البريطانية من الوصول.

وعند استئناف الأحداث مرة أخرى، وظهور نية البريطانيين في التواطؤ مع الصهاينة؛ سارع الجيايوة وكل القرويين الفلسطينيين إلى شراء السلاح، من حر أموالهم، دون أن ينتظروا المساعدة من أحد.

ورغم أن ثمن البندقية وصل أحيانا إلى أكثر من مئة جنيه فلسطيني، إلا أن الفلاحين الفقراء باعوا مدخراتهم وذهب نسائهم ليشتروا البنادق، في وقت كان فيه هذا الثمن يوازي أكثر من عشرة دونمات من أفضل الأراضي في وسط البلد. في حين بلغ ثمن خزنة الطلقات (6 طلقات) أكثر من أربعين قرشاً؛ وهو ما يساوي ثمن خروف سمين. ثم وقفوا للمؤامرة بالمرصاد.

وبذا فقد أمكن تكوين أول مجموعة كفاحية في الجية، بدأت بالمشاركة مع مجموعات أخرى في مناوشة الصهاينة وحماتهم البريطانيين. ومن أبرز مجاهدي هذه المجموعة:

1ـ المجاهد سبيتان عوض: وقد أسره اليهود خلال، ولم يُعرف له أثر.

2ـ المجاهد محمد أحمد سالم (عصفور): وهو الذي تولى قيادة المجموعة بعد استشهاد قائدها سبيتان عوض. وقد أدرك النكبة وهاجر، وتوفي في التسعينات من القرن العشرين.

3ـ المجاهد إبراهيم حسين محجز: وقد أدرك النكبة وهاجر، وتوفي في عام2006، في معسكر الشاطئ.

4ـ المجاهد أحمد عوض سليمان (الحباطي): وقد توفي، في التسعينيات من القرن العشرين، بمعسكر جباليا.

5ـ المجاهد جميل ناجي سليمان: وقد توفي في نهاية التسعينيات من القرن العشرين، في خانيونس.

6. المجاهد جميل سويدان: وقد توفي في نهاية التسعينيات من القرن العشرين، في خانيونس.

7. المجاهد حسن ياسين حلوة: وقد توفي في العام2004، في معسكر جباليا.

8. المجاهد الأمير حمدان عابد: وقد تولى المخترة بعد استشهاد أبيه في الجبية، وتوفي في الثمانينيات من القرن العشرين في حي الزيتون بمدينة غزة.

9. المجاهد محمود خليل ناجي (فيصل): و قد توفي في نهاية التسعينيات من القرن العشرين، في خانيونس.

10ـ المجاهد نمر حسن سليمان (القنبور): وقد توفي في السبعينيات من القرن العشرين بمعسكر جباليا.

11ـ المجاهد إبراهيم محمد سليمان: وقد توفي في الثمانينيات من القرن العشرين في خانيونس.

12ـ المجاهد حلمي عابد: وقد أدرك النكبة وكان أحد الشهود الهامين لهذا البحث، قبل أن يتوفى إلى رحمة الله في العام2004، في حي الزيتون بمدينة غزة.

13ـ المجاهد محمد عطية صباح: وقد أدرك النكبة وهاجر، وتوفي في نهاية القرن العشرين، بمعسكر جباليا.

14ـ المجاهد شحادة حسن الأخرس: وقد أدرك النكبة، وتوفي في خانيونس في ثمانينيات القرن العشرين.

15ـ المجاهد محمد شحادة العبسي (أبو شحادة): هاجر وتوفي في معسكر الشاطئ في العام2001.

16ـ المجاهد رجب محمد عساف (رجب البس): هاجر وتوفي في خانيونس في السبعينيات من القرن العشرين.

17ـ المجاهد حسين محمود سالم: هاجر وتوفي في خانيونس في تسعينيات القرن العشرين.

18ـ المجاهد أحمد محمد السحار: هاجر وتوفي في سنوات اللجوء الأولى[1].

وقد قامت هذه المجموعة بعدة عمليات ضد اليهود، قبل دخول الجيوش العربية فلسطين. وللأسف فقد قام الجيش المصري بتحديد حركتها، ونزع أسلحتها، كعادة الجيوش النظامية العربية في التعامل مع المجموعات الشعبية المختلفة[2]. وقد بدأ أفراد هذه المجموعة بالاشتباك مع العدو الصهيوني، منذ لحظة مبكرة من إنشائها. وسنذكر بعض الفعاليات الجهادية التي قام بها أفرادها، ورواها لنا المشاركون فيها:

---

[1]ـ من شهادات المجاهدين: الحاج حلمي عابد، وإبراهيم حسين محجز، والحاج خالد ناجي.

[2]ـ من شهادة المجاهدين: عبد المنعم نجم، وإبراهيم حسين محجز.

1. كمن ثلاثة مجاهدين من أفراد المجموعة، هم: حلمي عابد، ومحمد صباح، وشحادة الأخرس، في بيارة الحكيم ـ من أرض نعليا المجاورة ـ على الطريق العام، لقافلة يهودية، وأمطروها بوابل من الرصاص، واضطروها للهرب، بعد أن أحدثوا فيها بعض الإصابات[1].

2ـ اشترك أفراد المجموعة، مع عدد من مجاهدي بربرة، في مهاجمة المستعمرة الصهيونية القريبة من أرض سمسم. واستمر الاشتباك بين المناضلين البسطاء والدبابة اليهودية، التي قدمت لنجدة المستعمرة، حتى جرح أكثر أفرادها، وسقط قائد المجموعة سبيتان عوض أسيراً في يد العدو الصهيوني، ثم لم يعرف له أثر بعد ذلك[2].

3ـ كما اعترضت هذه المجموعة ـ مع مجموعات من القرى المجاورة ـ قافلة يهودية كانت تعبر الطريق، واشتبكت معها، وكبدتها خسائر فادحة، حتى اضطر الانجليز للتدخل، وحماية اليهود، وتأمين مرورهم بعد معركة طويلة[3].

4ـ ثم حدثت بعد ذلك معركة بربرة، وذلك عندما كمن المجاهدون من الجِيَّة وبربرة وبيت جرجا والقرى المجاورة ـ يوم 25 آذار عام1948 ـ لقافلة يهودية على طريق بربرة، واشتبكوا معها، طوال اليوم، مستخدمين أسلحتهم البسيطة. وأثخنوا في اليهود،

---

[1]ـ من شهادة الحاج حلمي عابد.

[2]ـ من شهادة المجاهدين: عبد المنعم نجم، وابراهيم حسين محجز، والحاج حلمي عابد.

[3]ـ من شهادة الحاج حلمي عابد.

وقتلوا منهم العديد من الأفراد. وقد تواصلت الإمدادات لكلا الطرفين، هذا وقد كان قائد المعركة المجاهد القائد "العبد الدرة"، من بيت جرجا، وقد كان بارعاً في إعداد الألغام ونصب الكمائن. وأمام بطولة هذه المجموعة وخسائر اليهود المتلاحقة، اضطر اليهود للهروب، مخلفين وراءهم دبابة وجرافتين. وقد كانت الدبابة من نصيب أهل الجية، الذين أخذوها إلى قريتهم، واستمرت في عهدتهم، حتى سلموها بعد ذلك إلى الجيش المصري، عند دخوله فلسطين. هذا وقد أصيب في هذه المعركة المجاهد: موسى أبو سلطان من قرية بربرة، وفارس جابر من قرية هربيا[1].

احتلال الجِيَّة وتهجير سكانها:

شهدت منطقة الجِيَّة وبربرة وبيت جرجا اشتباكات عنيفة منذ الأسابيع الأولى من يناير 1948، حيث كان الفلاحون يتبادلون النار والمعارك مع الصهاينة، الذين كانوا ينطلقون من مستعمرة سمسم[2].

ومع انتهاء الهدنة الثانية ـ في 15 تشرين الأول (أكتوبر) 1948 ـ تحرشت القوات الإسرائيلية بالقوات المصرية المرابطة في المنطقة، ثم قامت بقصف مدفعي عنيف، وغارات جوية على الجِيَّة

---

[1]ـ من شهادة المجاهد عبد المنعم نجم من قرية بيت جرجا، وهو أحد المشاركين في المعركة. ويعقب السيد عبد المنعم نجم بأن المعركة استمرت من السادسة صباحاً إلى السادسة مساءً. ويلاحظ أن هذه الشهادة تختلف مع ما أورده الأستاذ الدباغ حول استشهاد أحد المجاهدين في المعركة. ولعل الأستاذ الدباغ ظن أن الشخص الذي جرح في المعركة قد استشهد، خلافاً للواقع. أنظر: مصطفى مراد الدباغ. ص256

[2]ـ من شهادة المجاهد: عبد المنعم نجم من بيت جرجا.

والقرى المجاورة، فيما سمي في حينه عملية "يوآف": وقد حشد الجيش الإسرائيلي لهذه العملية ألوية: "غفعاتي"، و"هانيغف"، و"يفتاح". وكان القصف شبه اليومي المنصب على الجِيَّة والقرى المجاورة من مستعمرة سمسم عاملاً تمهيدياً آخر، ساعد على نجاح هذه العملية، مما أدى إلى خروج السكان من القرية باتجاه الغرب، حيث أقاموا أياماً في أراضي نعليا، يطلون منها بين الحين والآخر على الجية شرقاً. حتى أتاهم الناعي باستشهاد الشيخ حمدان وابنه إبراهيم؛ وكانا قد رفضا الخروج، فقتلهما الصهاينة خلال الهجوم. وكان عطية خضر محجز قد تأخر في القرية هو الآخر منشغلاً ببعض الحاجات الخاصة، وعندما شهد هجوم الدبابات، تسلل عبر الوادي، ليخرج من القرية، فشاهد حتتي الشهيدين. وعندما وصل إلى نعليا أخبر المختار حسين محمد محجز، الذي استنهض الناس، فتسللوا إلى القرية، وحملوا الشهيدين إلى نعليا ومن ثم إلى بربرة، حيث دفنوهما هناك في مقبرة القرية[1].

وبعد نجاح عملية "يوآف" وسقوط الجية وبربرة ونعليا، لم يجد أهل الأهالي أمامهم إلا الرحيل، خصوصاً وقد سقطت قبل ذلك المجدل وباقي المدن الكبرى. وقد كان الفضل في ذلك اليأس راجعاً إلى مؤامرات الدول الكبرى، وضعف الحكومات العربية وفسادها، الذي أدى إلى ضعف أداء الجيوش العربية، وانسحابها غير المنظم، إضافة إلى الوعود الشفهية التي تلقاها الأهالي من، ضباط

[1]ـ من شهادة الحاج حلمي عابد.

الجيش المصري المنسحبين، حول قرب العودة[1]، خصوصاً وأنهم كانوا قد جردوهم من أسلحتهم البسيطة، وتركوهم عزلاً في مواجهة شائعات قوية وانتقام متوقع. فحملوا ما أمكنهم من قليل المتاع، مبتدئين رحلة التيه، باللجوء إلى قطاع غزة، في5 تشرين الثاني (نوفمبر) 1948[2].

[1]ـ كانت العبارة المشهورة، التي ظل ضباط الجيش المصري يبررون بها انتكاساتهم المتعددة، تقول: "ياخدوكم بالليل، نجيبكم بالنهار". ثم رحلوا بليل لا نهار وراءه، وتركوا الناس بدون سلاح. من شهادة الحاج أحمد سالم عوض (الدويري).

[2]ـ أنظر: وليد الخالدي. ص511ـ534

إضاءات:

أود في هذه السطور القليلة أن أتقدم بجزيل شكري إلى كبار السن، الذين لم يبخلوا علي بجهد ولا وقت، في سبيل إخراج هذا الكتاب، كلٍ باسمه وشخصه. ورغم أن الأسماء محفوظة في مسرد الشهادات الشفهية، الملحقة بهذا الكتاب، إلا أنني أرغب ها هنا في إزجاء شكر خاص، ورفع صلوات الرحمة لروح الحاج حلمي عابد، الذي شهد الطبعة الأولى من هذا الكتاب، ثم توفاه الله قبل أن يشهد الطبعة الثانية له. وذلك لشدة ما صبر على لجاجتي وكثرة أسئلتي.

هذا البحث مكرس لفترة زمنية محدودة، لا تتجاوز بضع عشرات من السنين التي سبقت النكبة، مما يستطيع كبار السن تذكره أو حفظه عمن سبقوهم. لذا فلا غرابة أن لم يتم التطرق إلى من كبرت أسماؤهم في سنوات الهجرة. ولربما كان يجب أن يكرس لزمانهم كتاب آخر أرجو أن يقوم به واحد غيري.

تعمدت تسجيل الألقاب بين قوسين، كلما كان اللقب ضرورياً للتعرف على صاحب الاسم، دون أي قصد لأي شيء آخر.

عند التطرق لإلى الحديث عن وجهاء الجية، سجلت كل ما وصل لعلمي من أسماء كبار السن. وقد يكون هذا البحث مفتقراً إلى الكمال ـ شأن أي عمل إنساني ـ ولكن عذري في ذلك أنني لم أهمل اسماً أجمع الناس عليه.

أعيان الجية، في نظر كبار السن، هم من كانوا قبل النكبة كباراً، يقومون بالإصلاح بين الناس، والحكم في الخصومات، والإفتاء في مسائل الدين والحياة، وإكرام الضيوف. وليس المقصود شبان القرية مهما ارتفع شأنهم بعد ذلك. ولربما كانوا نجباء كراماً، ولكنهم حسب العرف الجاري لا يسمون أعياناً، لأن لهم كباراً هم من يقول عليهم، وهم المقصودون بتعبير (الأعيان.(

لم تكن الجية مجتمعاً من الملائكة، فقد كانت كأي مجتمع إنساني، لها شرورها الخاصة، وخطاياها الصغيرة، ومن ذلك العادة القبيحة بحجب النساء عن الميراث. كما لم تكن الجية مجتمع سلام دائماً، فقد وقعت فيها بالفعل بعض الحوادث المؤسفة. ولكنني لم أشأ التطرق إلى هذه الخطايا لسببين: أولهما: طبيعة الجية التصالحية، حيث لم يسجل في الجية من الحوادث المؤسفة، طوال السنوات التي تناولها البحث، إلا حادث واحد، تم تجاوز آثاره، منذ سنوات مبكرة قبل النكبة. وثانيهما: كون الجية في مسألة ميراث النساء قرية تشبه كل القرى المحيطة، ومع ذلك فلم تخل قرية الجية من امرأة ثائرة، ترفع لواء التمرد على هذه العادة القبيحة، رغم ما جره عليها ذلك من إنكار، وقطيعة رحم استمرت حتى فترة ما بعد اللجوء.

اعترف بأن نسبة كبيرة من أرض الجية كانت ملك بعض كبار الإقطاعيين، من خارج القرية. كما أعترف كذلك بأنني قد ضربت صفحاً عن ذكر الأسماء في ثنايا الكتاب، حتى لا نعود إلى تذكر بعض البائسين، ممن مكنوا هؤلاء الإقطاعيين من تملك هذه المساحات المهولة من أراضي الناس، ولا إلى فضح الطرق غير

الشريفة التي استولى بها هؤلاء الإقطاعيون على أراض لم تكن في الأصل ملكاً لهم. وإذا كانت "بضدها تُعرف الأشياءُ" فإنني أنحني هنا بكل فخر واعتزاز أمام أحد أجداد القرية العظام "سلامة" الذي تصدى لمحاولات الإقطاعيين المشبوهة، محاولاً منعهم من سرقة أقوات الفقراء، رغم أن ذلك قد كلفه حياته، مما يجعلني أعتبره شهيداً، مصداقاً لحديث النبي، صلى الله عليه وسلم: "من قتل دون ماله فهو شهيد."

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الملاحق

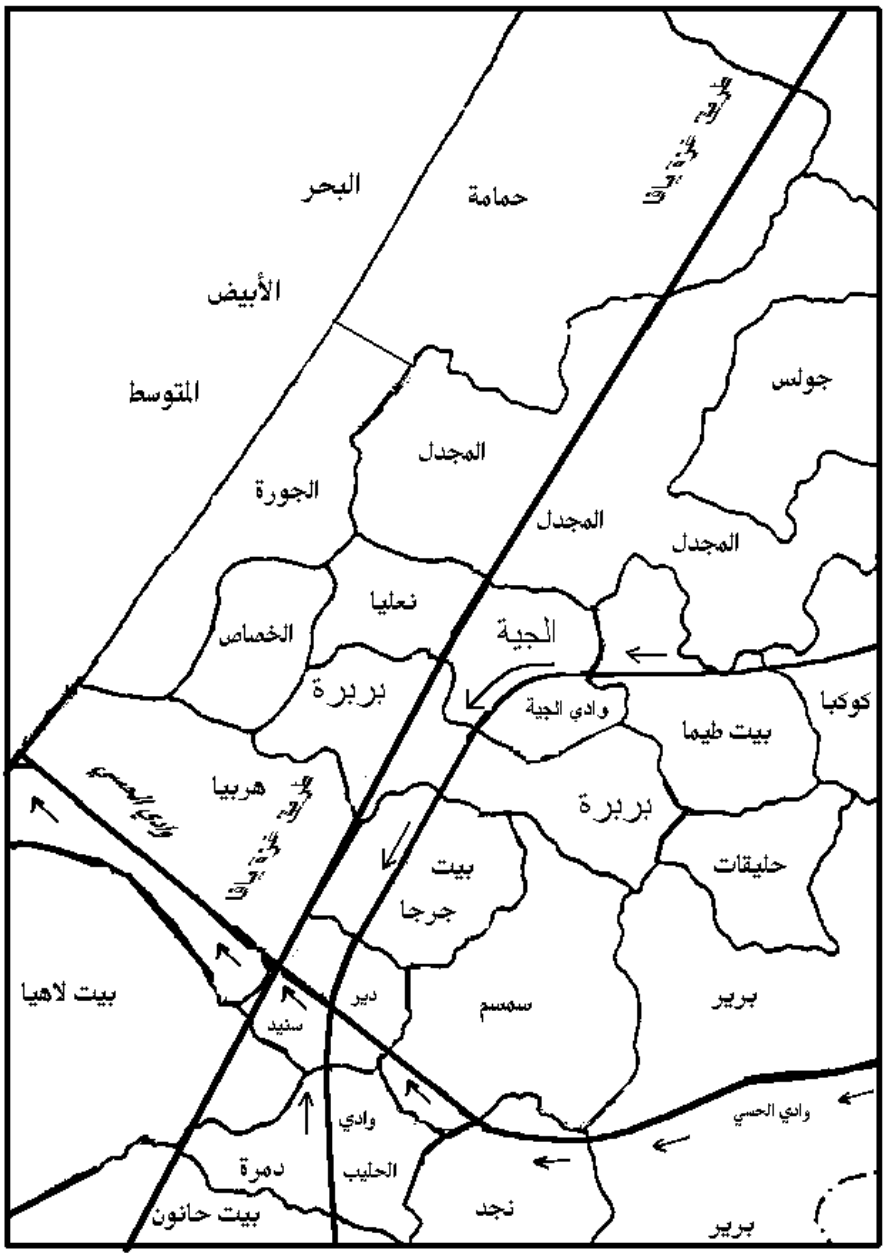

خريطة رقم (1) الجية بين القرى

خريطة رقم (2)

المعالم الأساسية في قرية الجية حسب شهادات الشهود

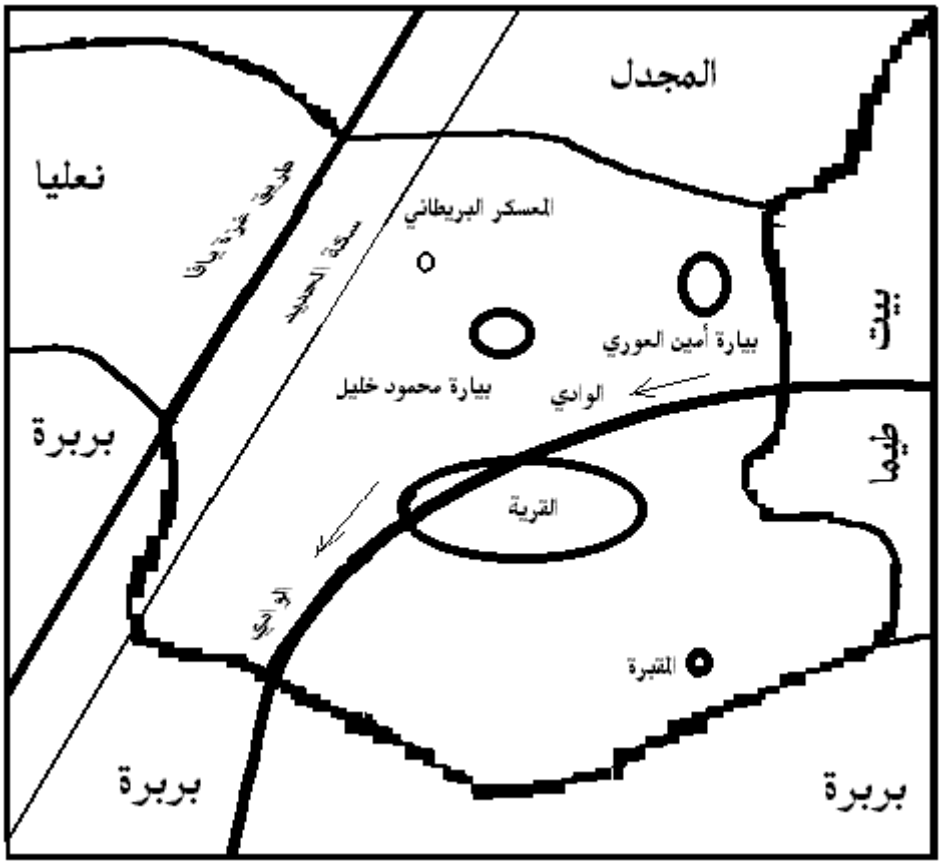

مصادر البحث

أولاً: الكتب:

1ـ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي. الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز. تقديم وإعداد أحمد عبد المجيد هريدي. مركز تحقيق التراث. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. 1986.

2ـ ابن كثير: الحافظ. البداية والنهاية. المجلد17. الجزء13. بيروت. دار الفكر. 1978.

3ـ مختار الصحاح. للشيخ الأمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. مكتبة لبنان. بيروت. 1986.

4ـ مصطفى مراد الدباغ. بلادنا فلسطين. الجزء الأول (أ ـ ب). القسم الثاني. كفر قرع. دار الهدى. 1991.

5ـ المعجم الوسيط. استنابول. دار الدعوة. 1999.

6ـ المنجد. ط28. دار المشرق. بيروت. 1986.

7ـ الموسوعة الفلسطينية. القسم العام. المجلد الثاني. ط1. دمشق. 1984.

8ـ الموسوعة الفلسطينية. القسم الثاني. المجلد الرابع. ط1. بيروت. 1990.

9ـ وليد الخالدي. كي لا ننسى. ط1. ترجمة: حسني زينة. تدقيق وتحرير: سمير الديك. بيروت. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 1997.

10ـ يسرى جوهرية عرنيطة. الفنون الشعبية في فلسطين. ط3. سلسلة علامات. وزارة الثقافة. السلطة الوطنية الفلسطينية. 1997.

ثانياً: الصحف والمجلات:

11ـ عبد القادر إبراهيم حماد. الوطن والذاكرة (الجية). البيادر السياسي. العدد398. 5 أيار (مايو) 1990.

ثالثاً: مصادر خاصة.

12ـ سجلات جمعية أهالي الجِيَّة.

رابعاً: مسرد الشهادات:

13ـ المجاهد ابراهيم حسين محجز.

14ـ الحاج أحمد سالم عوض.

15. الحاج أحمد المبحوح.

16. الأستاذ إسماعيل ياسين أبو عواد.

17. آمنة خضر محجز.

18. الحاج حلمي عابد.

19. الحاجة حليمة ريان.

20. الحاج خالد ناجي سليمان.

21. الحاج رمضان حسن عاشور.

22. الحاجة سرية الأخرس.

23. شحادة حسن شحادة الأخرس.

24. الحاجة صبحة حسن ياسين حلوة.

25. المجاهد عبد الغني أبو قمر.

26. المجاهد عبد المنعم نجم.

27. الحاجة أم عطية أبو شريعة.

28. عطية خضر محجز.

29. أبو فتحي مسمار.

30. محجز أحمد خليل محجز.

31. محمد أحمد خليل محجز (سيبا).

32. الحاج محمد عثمان أبو زايدة.

33. ياسين محمد أبو عواد.

خامساً: الشبكة العنكبوتية (إنترنت):

34. الموجة القبطية. 2011/5/31. رابط:

http://copticwave.com/taks/holyweek1.htm

الفهرس

مسلسل	الموضوع	الصفحة
1	الإهداء	7
2	مقدمة	9
3	الفصل الأول: الأرض	11
4	الجِيَّة: الاسم والمعنى	11
5	الموقع الجغرافي والتضاريس	13
6	الجِيَّة في التاريخ	15
7	الوادي	18
8	أملاك القرية ومزروعاتها	20
9	مواسم الزراعة والحصاد	22
10	الفصل الثاني: المجتمع	25
11	بيوت القرية	25
12	كيف بنى الجياوي بيته	26
13	البيت الجياوي من الداخل	26
14	حارات الجية وعائلاتها	29
15	أولا: عائلات حارة الغبون	30
16	ثانياً: عائلات حارة الشناطوة	31
17	ثالثاً: عائلات حارة القطوي (القدود)	31
18	أعيان الجِيَّة ووجهاؤها	32
19	الفصل الثالث: الحضارة	41
20	أثر التربة في اللهجة والعادات	41
21	أساطير الجية	43
22	الملابس	45
23	الأفراح والمواسم والاحتفالات	48

مسلسل	الموضوع	الصفحة
24	1ـ الزواج	50
25	2ـ الختان (الطهور)	61
26	3ـ المواسم	63
27	4ـ المولد النبوي	66
28	5ـ العيدان	67
29	6ـ خميس الأموات	69
30	7ـ عاشوراء	69
31	8ـ المآتم	70
32	المهن والتجارة	73
33	التعليم	75
34	المأكولات	76
35	الفصل الرابع: الصراع	81
36	معارك الجِيَّة	81
37	احتلال الجِيَّة وتهجير سكانها	86
38	إضاءات	89
39	الملاحق	93
40	مصادر البحث	97